القَـرَارُ المَكِـين..
وَتَيسِيرُ السَّبِيل

(دراسة تفسيرية في ضوء المعطيات العلمية)

إعداد:

د. رياض عيد روس

(اليمن)

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

riadaidros@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾

[المؤمنون: ١٢, ١٣].

وقال تعالى:

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾

[عبس: ١٧-٢٠].

مُقَدِّمَة

الحمد لله المنعم المتفضل على عباده، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم أنبيائه، وبعد:

كثيرٌ هي السنن الكونية التي سخرها الله تعالى لهذا الإنسان، سنن لتسخير رزقه وجلب مصالحه، وسنن لتعلمه وكسب معارفه، وسنن لحفظه من المخاطر والمكاره، إلى غير ذلك من السنن والقوانين المبثوثة في هذا الكون الواسع، عَلِم الإنسان منها ما عَلِم، وجَهِل منها ما جَهِل.

هذه السنن هي نِعَمٌ لا تعد ولا تحصى، سخرها المولى جل وعلا لهذا المخلوق الضعيف، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

ولو تذكر الإنسان نِعَمَ الله عليه منذُ أن كان في عالم الذر في صلب آدم عليه السلام، ثم تكونه وحفظه في صلب أبيه، ثم خروجه مع الماء الدافق واستقراره في رحم أمه، ثم رعايته في كل طور من أطوار خلقه، نطفة.. علقة.. مضغة.. عظام.. كساء باللحم.. تصوير.. تعديل.. نشأة.. نفخ الروح.. إلخ، وفي كل طور من هذه الأطوار، أو مرحلة من هذه المراحل من التفاصيل والدقائق ما لا يحيط بها إلا الخالق سبحانه.. لو تذكر هذه النعم لعرف شيئاً من لطف الله تعالى به، وتدبيره لأمره في كل شئونه ومراحل حياته..

وفي هذه الأسطر نقف مع آيتين من آيات الله سبحانه وتعالى ونعمتين من نعمه على هذا الإنسان.

الأولى: آية القرار المكين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[2].

والثانية: آية تيسير السبيل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[3].

---

(١) [إبراهيم:٣٤].

(٢) [المؤمنون:١٣].

(٣) [عبس:٢٠].

وفي طياتهما الكثير والكثير من الآيات والنعم التي منَّ الله بها على عباده..

ولا بد لتوضيح هذه السنن من عرض بعض المعطيات العلمية التي فصلت، وبينت، ووضحت جزءاً من هذه النعم التي علم الإنسان منها ما علم، وجهل منها ما جهل.

ولقد جاء هذا البحث كرؤية تفسيرية تجمع بين فهم السلف وآراء الخلف، مستعيناً بما كشفته الحقائق العلمية مما له صلة بآيات القرآن الكريم.. إذْ تعتبر هذه الأبحاث وسيلة مهمة لتدبر كلام الله تعالى القائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، حيث ملأ الله تعالى كونه العظيم بالآيات المشاهدة الجديرة بالتأمل والتدبر، والوقوف عند أسرارها، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

وتظهر أهمية هذا البحث فيما تحققه هذه الآيات من إقناع عقلي ومنطقي بوحدانية الله تعالى، في بيان سبق كتابه لكل المعارف البشرية على مر العصور، وعدم مصادمة هذه الحقائق لما جاء في كتاب الله، وهو ما يعمق الإيمان، ويزيد اليقين في القلب، ثم بيان جهود أئمة التفسير رحمهم الله تعالى في بذل الجهد والوسع لتفسير كتاب الله تعالى، وبيان سعة المدلول القرآني الذي يتسع لأكثر من معنى مهما تقدمت الأبحاث العلمية وتطورت، والتي تسهم في إظهار معانٍ جديدة للَّفظة القرآنية.

١- [ص:٢٩].

٢- [آل عمران:١٩٠].

هيكل البحث:

تضمن البحث ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرار المكين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرار المكين في فهم أهل اللغة وأهل التفسير.

المطلب الثاني: القرار المكين في ضوء الاكتشافات لعلمية.

المبحث الثاني: تيسير السبيل، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تيسير السبيل في لغة العرب وفهم المفسرين.

المطلب الثاني: تيسير سبيل الولادة في ضوء المعطيات العلمية.

المطلب الثالث: التضحية عند الأم الحامل نوع من تيسير السبيل

المطلب الرابع: تيسير السبيل بعد الولادة. (تدابير للحياة خارج الرحم).

المبحث الثالث: وقفات وتأملات في ظلال الآيات، وفيه عدة وقفات:

الوقفة الأولى: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!.

الوقفة الثانية: وصف الإمام ابن القيم للجنين.

الوقفة الثالثة: الرطب وتسهيل الولادة.

الوقفة الرابعة: كيف تكفر أيها الإنسان؟!.

الوقفة الخامسة: الجندر .. ودعوى الرجُل الحامل.

المبحث الأول:

القرَارُ المَكِين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرار المكين في فهم أهل اللغة وأهل التفسير.

المطلب الثاني: القرار المكين في ضوء الاكتشافات لعلمية.

تمهيد:

وَصَف القرآنُ الكريم المكانَ الذي تستقر فيه النطفة بوصفين جامعين معبرين..

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2].

وسيكون الكلام في هذا المبحث عن معنى القرار المكين في لغة العرب، وكيف فهم المفسرون هذا الوصف، نستعرض بعض الاكتشافات العلمية التي تعين على فهم وتدبر هذا الوصف الذي جاء التعبير عنه في القرآن الكريم،،

وذلك في مطلبين ..

---

(١) [المؤمنون:١٣].

(٢) [المرسلات:٢٠-٢٢].

المطلب الأول:

القرار المكين في فهم أهل اللغة، وأهل التفسير

أولاً: معنى (القَرارُ المكين) في اللغة:

أ- معنى (القَرارُ) في اللغة:

الراغب الأصفهاني[(١)]: «قر: قرَّ في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً ، وأصله من القرّ، وهو البرد، وهو يقتضي السكون، والحر يقتضي الحركة»[(٢)].

والقَرارُ: المستقر من الأرض، وهو المكان المنخفض الذي يستقرّ فيه الماء، والقَرارُ في المكان الاسْتِقْرارُ فيه، وصار الأَمر إِلى قَراره ومُسْتَقَرِّه تَناهَى وثبت[(٣)].

وخلاصة المعاني اللغوية للقرار فيما يلي:

قَرَّ: سكن واطمأن وثبت.

استقر: تمكن وسكن.

المقر: موضع الاستقرار.

المستقر: موضع الاستقرار والقرار والثبوت.

القرار: ما قُرَّ فيه، أي: حصل فيه السكن أو السكون، يقال صار الأمر إلى قراره أي: انتهى وثبت.

---

(١) هو الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له مؤلفات عديدة من أشهرها: المفردات في غريب القرآن، توفى سنة ٥٠٢هـ، [انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة- مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مُحَمَّد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١: ١٤٠٧هـ، صـ١٩].

(٢) المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، صـ٣٩٧.

(٣) انظر: لسان العرب- مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ، ٨٢/٥، تاج العروس من جواهر القاموس- حمد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٩٢/١٣، مختار الصحاح مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر، صـ٥٦٠، المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٧٢٥/٢.

أهل القرار: أهل الحضر المستقرون في منازلهم خِلاف أهل البدو الذين لا يزالون متنقلين.

ثم يمكن أجمَال المعاني السابقة على الوجه التالي:

القرار أو المستقر: هو المكان الذي يُنْتَهى إليه، ويُتَوَقَّفُ فيه، ثم يتم فيه الثبات، والبقاء، والاطمئنان، والتمكن، وذلك من بعد حركة وتنقل، فهو سكون (أي: وقف حركةٍ) وسكن (أي: مسكن)[١].

ب- معنى (مكين) في اللغة:

المكين من التمكن بالشيء، وتمكن بالمكان استقر فيه، ومن الشيء قدر عليه، أو ظفر به، واستمكن من الشيء تمكن، ولفلان مكنة، أي: قوة وشدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[٦][٧].

إذاً فكلمة مكين في اللغة تعني: عظيم المكانة، القوي، الراسخ، المتين، ذا المنزلة العظيمة[٨].

ثانياً: معنى (القَرارُ المكين) في فهم المفسرين:

ذكر المفسرون أن المقصود بالقرار: (الرحم) حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة[١].

---

(١) انظر: من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترآئب- الدكتور داود سلمان السعدي، صـ١٠٤، دار الحرف العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(٢) [الأعراف: ١٠].

(٣) [الأحقاف: ٢٦].

(٤) [القصص: ٥٧].

(٥) [القصص:٦].

(٦) [النور: ٥٥].

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن صـ٤٧١، المعجم الوسيط، ط٤، ٨٨١/٢.

(٨) من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترآئب- السعدي، صـ١٠٧.

ووصِفَ الرحم بأنه مكين:

لأنه مُكِّن لذلك، وهيّئ له[٢].

ولِتَمَكُّن من يحل فيه[٣].

ولأنه ثابت في المكان بحيث لا يقلع من مكانه[٤].

ولاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة[٥].

ولأنه حافظ لما أودع فيه من الماء[٦].

ولأن الجنين فيه لا يؤذيه حر ولا برد[٧].

ولأنه محفوظ مما يفسده من الهواء وغيره[٨].

ولأنه حرز حصين، قد بلغ النهاية في تمكنه وثباته[٩].

---

(١) أنظر: جامع البيان، ١٦/١٩، النكت والعيون للماوردي، ٤٨/٤.

(٢) أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن- مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ١٦/١٩، النكت والعيون- أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٤٨/٤، تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة، ط٢: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٤٦٦/٥، النكت والعيون للماوردي، ٤٨/٤.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت- لبنان: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ٤٠/٢٦.

(٤) التحرير والتنوير- الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون، تونس: ١٩٩٧م، ٢٣/١٨.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل- علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ، ٣٣/٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٩٩/٨.

(٧) تفسير العز بن عبد السلام، صـ: ١٢٩٨، النكت والعيون للماوردي، ١٧٨/٦.

(٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ٢٨٦/٨.

(٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٨١/٣، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)- فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، صـ٢٣٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين البيضاوي عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، دار الفكر، بيروت، صـ ١٤٨، لباب التأويل للخازن، ٣٣/٥، اللباب في علوم الكتاب- أبو حفص عمر بن علي ابن

ولأن ما يخلق منه الولد لا بد وأن يثبت فيه ويتمكن، بخلاف مالا يخلق منه الولد[1].

«إذاً فكلمة (قرار) في الآية الكريمة تشير إلى العلاقة بين الجنين والرحم، فالرحم (مكان لاستقرار الجنين)، أما مكين فهي تشير إلى العلاقة بين الرحم وجسم الأم»[2].

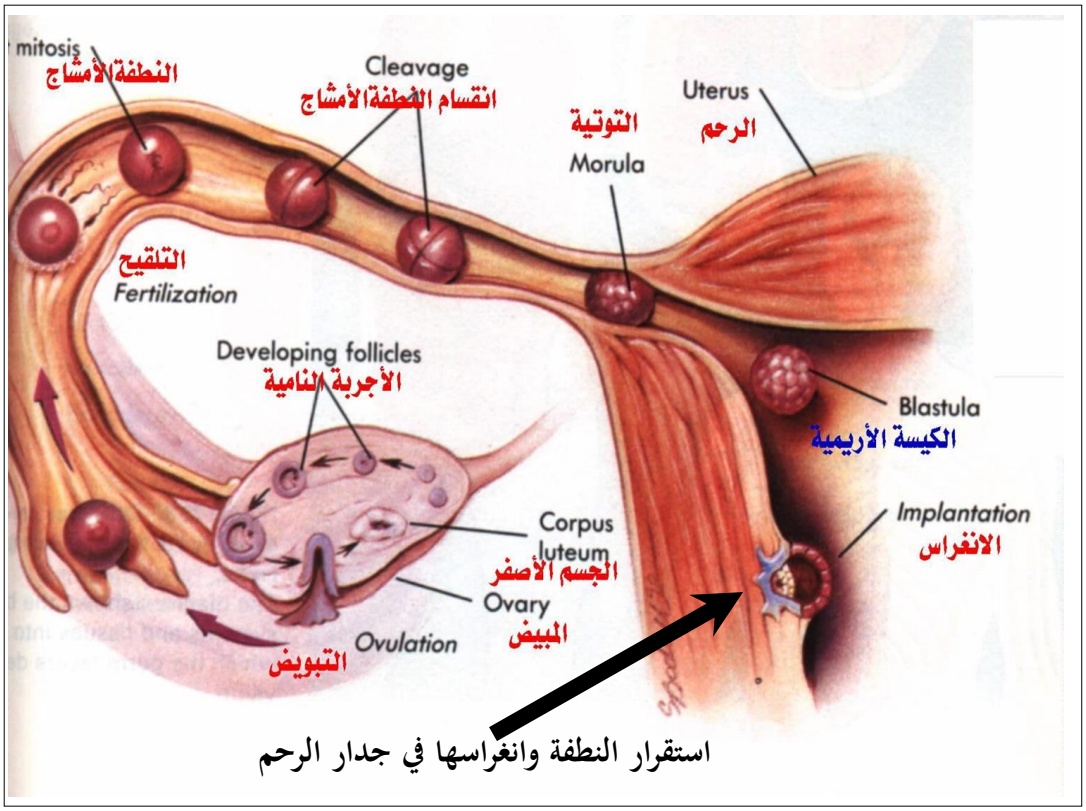

استقرار النطفة وانغراسها في جدار الرحم

عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٧٣/٢٠، البحر المديد- أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ٩/٥، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ٥٠٣/٥، تفسير المراغي- أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ٨/١٨، أضواء البيان للشنقيطي، ٤٠/٢٦، التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١: ١٩٩٧م، ٢٣٧/١٥.

(١) مفاتيح الغيب للرازي، صـ ٤٦٢٨.

(٢) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، الشيخ عبد المجيد الزنداني، صـ٤٧، من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد — باكستان، في الفترة من ٢٥-٢٨ صفر، سنة ١٤٠٨هـ، الموافق ١٨-٢١ أكتوبر- سنة ١٩٨٧م، اشترك في أبحاث الكتاب: بروفسور: كيث. ل. مور- جامعة تورنتو — كندا، بروفسور: مارشال جونسون- كلية جيفرسون الطبية — فيلاديلفيا- الولايات المتحدة الأمريكية، د. مصطفى أحمد- مندوب الإعجاز العلمي- الولايات المتحدة الأمريكية، بروفسور: ج. س. جورنجر، بروفسور: جولي سمسون، بروفسور: ت. ف. ن. برسود.

كلام الشيخ المراغي:

قال المراغي [١] في تفسيره: «فالقرار المكين هو الرحم، ومن يدرس تشريح الرحم، وموضعه المكين الأمين في أسفل بطن المرأة، ويرى ذلك الوعاء ذا الجدار العريض السميك، ثم ترى هذه الأربطة العريضة والأربطة المستديرة، وهذه الأجزاء من البريتون[٢] التي تشده إلى المثانة والمستقيم، وكلها تحفظ توازن الرحم وتشد أزره، وتحميه من الميل أو السقوط، وتطول معه إذا ارتفع عند تقدم الحمل، وتقصر إلى طولها الطبيعي تدريجيا بعد الولادة، وكذلك من يدرس تكوين الحوض وعظامه يعرف جليا صدق قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٣]»[٤].

ثم بين ما يحصل للجنين من حفظ في الرحم فقال: «وكذلك في الرحم سائل أمينوس[٥] داخل جيب المياه، يعوم فيه الجنين بحرية، ويدفع عن الجنين ما قد تلاقيه الأم من صدمات وهزات عنيفة، قد تصل إليه فتؤذيه، إن لم يُهَدِّئ هذا السائل من قوتها ويضعف من شدتها، ثم هو يحتفظ للجنين بحرارة مناسبة حيث أنه موصل رديء للحرارة،

---

(١) هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم، ثم درَّس الشريعة الاسلامية بها، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون [الاسم السابق لجامعة الخرطوم] بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، سنة ١٣٧١هـ. [انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين- خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلِي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١/٢٥٨].

(٢) البريتونpertonium: هو عبارة عن كيس مصلي مقفل من كل نواحيه، ويتوسط بين جدار البطن الأمامية وأحشاء تجويف البطن، ويتكون البريتون من طبقتين، إحداهما: خارجية تبطن جدار البطن الأمامي، والثانية: داخلية غائرة تلتصق بمختلف الأحشاء viscera ولذا فهي تعرف بالطبقة الحشوية visceral layer. وهي تحيط بالأحشاء إما إحاطة تامة مع مساريقا mesentry أو جزئية حسب مقتضيات الحال لكل عضو. [أنظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ١٠/٧٢٥].

(٣) [المؤمنون:١٣].

(٤) تفسير المراغي، ١١/١٨.

(٥) وهو السائل الذي يحيط بالجنين من جميع جهاته ويسمى السائل (الأمنيوسي)، وهي كلمة يونانية معناها: الشاة؛ لأنه يقال إنه اكتشف فيها أولاً؛ أو لأن ملمسه ناعم كصوف الشاة. [مجلة المنار، ١٨/٣٥٣].

وكذلك هو يقوم بعملية تحديد عنق الرحم وتوسيعه وقت الولادة (القرن) كما يقوم بعملية التطهير أمام الجنين بما فيه من خواص مطهرة، فكل ذلك يزيد الرحم مكنة وأمنا»[١].

ثم يختم كلامه قائلاً: «وهكذا يبدو أن مصير هذا الكتاب العجيب الخالد لا يفنى، وأن معين العلم والإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض، وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقا بعد آفاق كلما تقدم العلم، فتلقى ما بهذا الكتاب الكريم من إيحاءات وإشراقات: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢]»[٣].

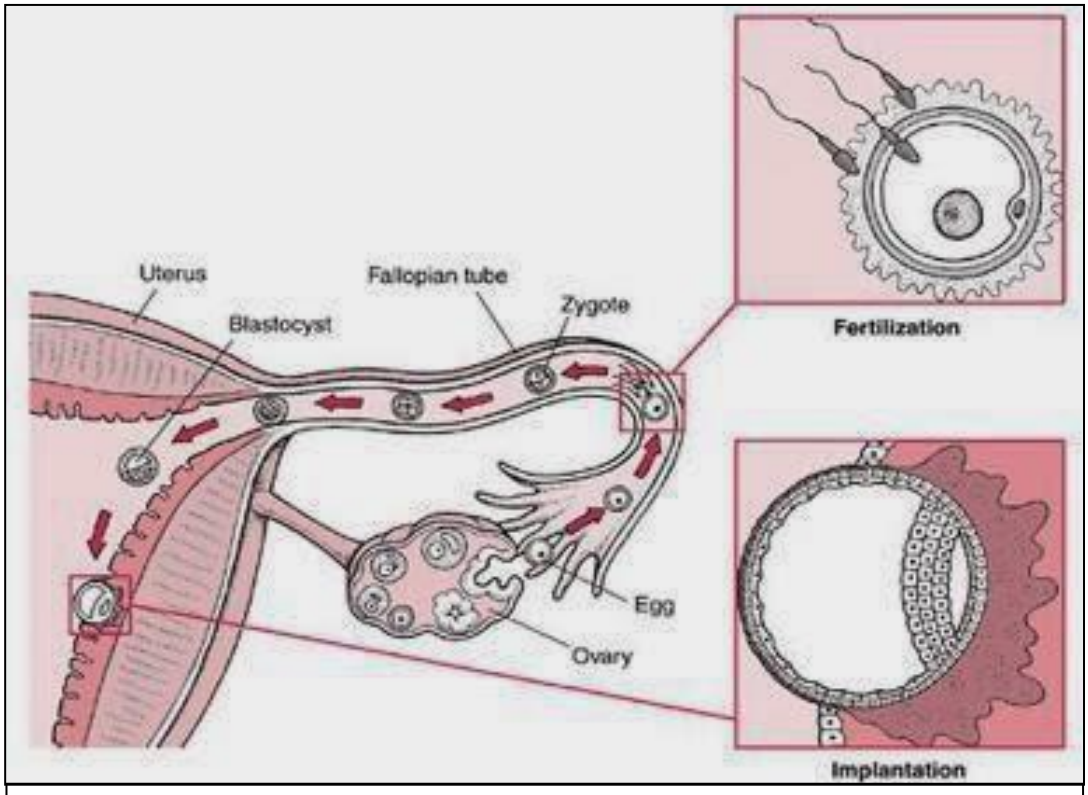

الطريق الذي تسلكه النطفة بعد التلقيح لاستقرارها في جدار الرحم لتصبح في قرار مكين

(١) تفسير المراغي، ١١/١٨.

(٢) [فصلت:٥٣].

(٣) تفسير المراغي، ١١/١٨.

المطلب الثاني:

القرار المكين في ضوء الاكتشافات العلمية

(العلاقة بين الرحم والجنين)

كشف العلم الكثير من التفاصيل لهذا الوصف الجامع المعبر نبينها فيما يأتي:

١- يقع الرحم في الوسط الهندسي تماماً لجسم المرأة، فلو أخذنا خط منصف طولي، وخط منصف عرضي لكان موقع الرحم في تقاطع الخطين[(١)].

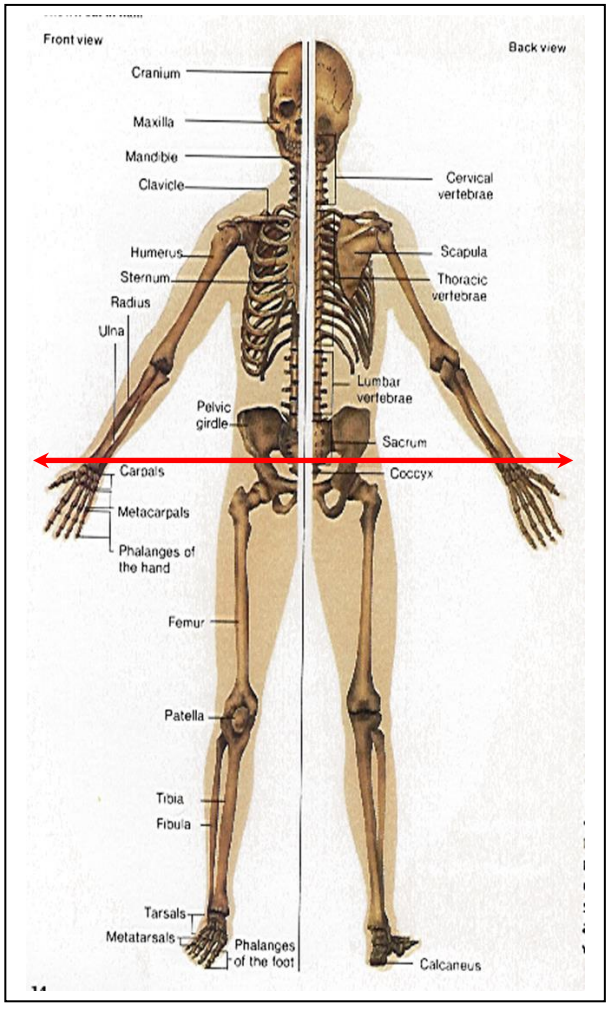

٢- الرحم موضوع في الحوض[(٢)] الحقيقي لهيكل المرأة بحيث لا تتعدى قمة الرحم الحرف العلوي لعظم العانة ولا يتعدى أسفل الرحم (عنق الرحم) الشوكتين الوركيتين أسفل الحوض، وهذا ما يجعل الرحم محاطاً بالعظام من جميع جوانبه، ومحروساً تماماً بعظام الحوض من أي عدوان خارجي، وبالرغم من وجود الأربطة والصفاقات المختلفة التي تمسك بالرحم فإنها مع ذلك تسمح له بالحركة

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، للأستاذ الدكتور مُحَمَّد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية –دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، صـ١٦٢.

(٢) الحوض بالإنجليزية Pelvis، وهو عظم المنطقة من جسم الإنسان التي تسمى (المقعد) أو (المؤخرة)، وتكون عند الإناث أكبر منها عند الذكور؛ وذلك لأنها تضم بعض أعضاء الجهاز التناسلي الأنثوي، مثل الرحم، المهبل، المبيض، قناة فالوب، المثانة والمستقيم، ويقع الحوض في الجزء السفلي من البطن بين عظمة الفخذين.[أنظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا].

والنمو.. إذ أن حجم رحم الأنثى البالغة لا يتسع لأكثر من مليليترين ونصف، بينما يتسع حجم الرحم ذاته في نهاية الحمل لسبعة آلاف مليليتر، ومع ذلك يبقى الرحم في مكانه والأربطة ممسكة به[١].

٣- يتولد ضغط في تجويف البطن نتيجة تقلصات عضلات الحجاب الحاجز وعضلات جدار البطن، ويدفع ذلك الضغط أعضاء الحوض ومنها الرحم إلى أسفل، ويقابل ذلك الضغط من أعلى ضغط من أسفل نتيجة تقلص عضلات العجان مثل العضلات الرافعة للشرج، فتدفع بالرحم إلى أعلى ونتيجة لتوازن هذا الضغط يبقى الرحم في مكانه[٢].

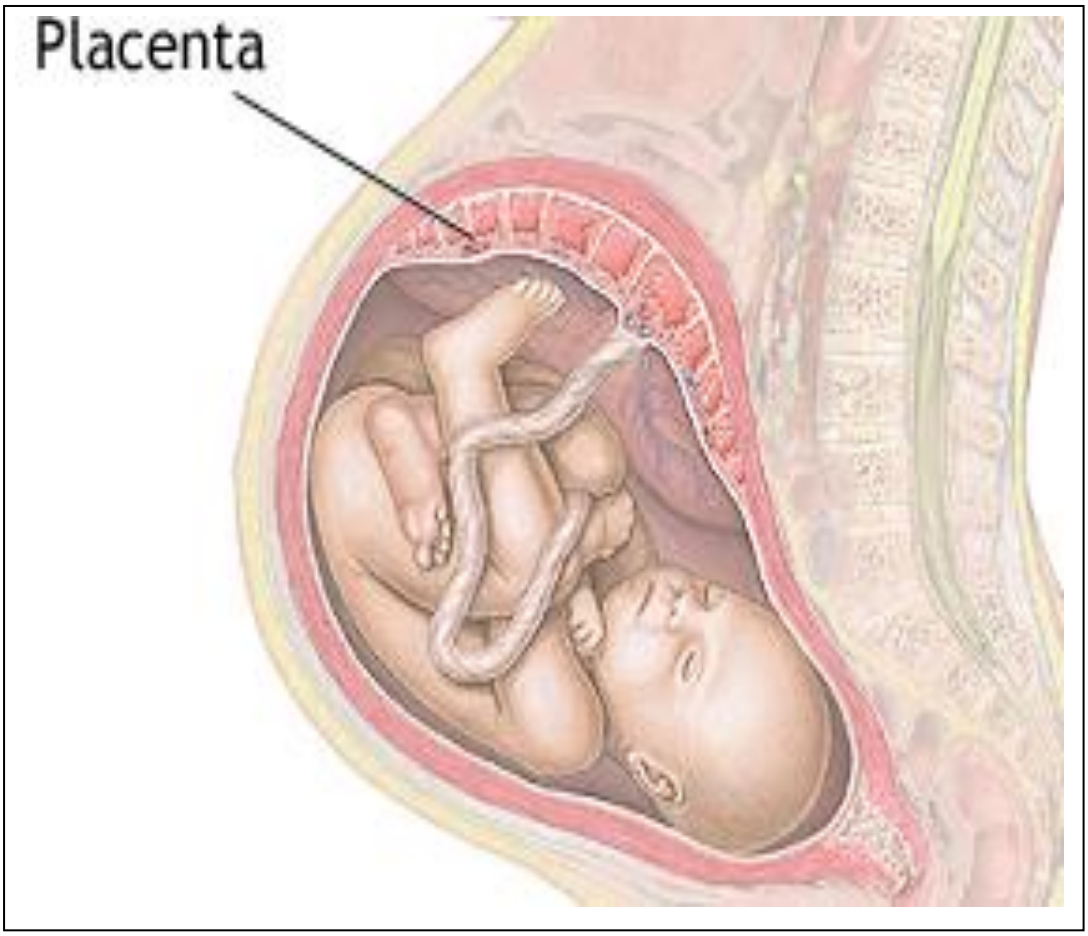

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- الدكتور مُحَمَّد علي البار، الدار السعودية، ط٥: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، صـ٥٥، ٦٢، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- الدكتور حامد أحمد حامد مُحَمَّد، دار القلم، دمشق- دار البشير، جدة، الطبعة الثالثة: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، صـ٩٨-٩٩، موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن- دكتور. مُحَمَّد كمال عبد العزيز، صـ١٦٨، مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٦.

٤- يستجيب الرحم لنمو الجنين بحسب مراحله، ويتمدد بدرجة كبيرة ليتلائم مع نموه فهو قرار له[١]، فنجده يزداد وزنه إلى حوالي (١٠٠٠) جرام، بعد أن كان لا يتعدى (٥٠ أو ٦٠) جراما قبل الحمل، ويتطاول من (٧) سنتيمترات إلى (٣٥) سنتيمتراً[٢]، والرحم هو العضو الوحيد في جسم الإنسان الذي له هذه القابلية للتمدد حيث يتضاعف حجمه أثناء الحمل حتى يصل إلى ثلاثة آلاف مرة في نهاية الحمل، وهو بذلك أسرع نمو يعرفه جسم الإنسان، حتى أخطر السرطانات لا تنمو بمثل سرعة نمو الرحم، ومع ذلك فشتان ما بين الأمرين[٣].

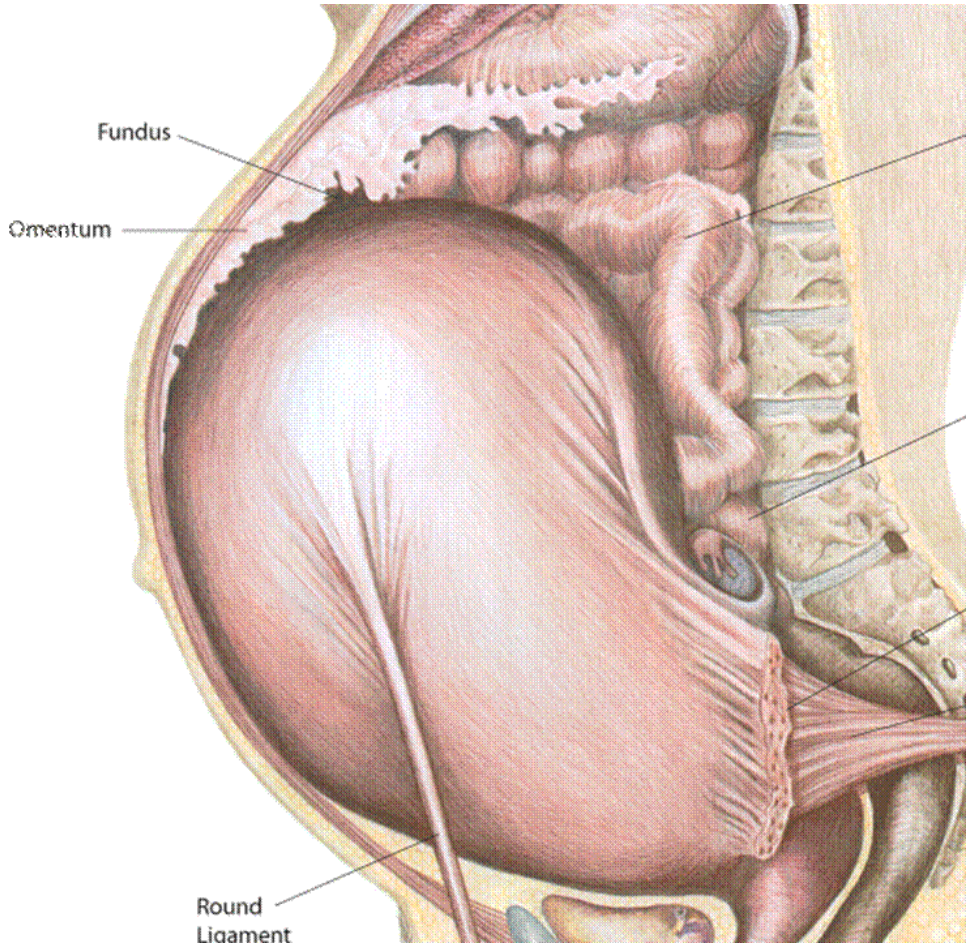

شكل يبين كيف يستجيب الرحم لنمو الجنين بحسب مراحله، دون أن تصب عضلاته بأي تمزق.

(١) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ٤٧.

(٢) خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الدكتور حمد الرقعي، الدار الجماهيرية، سرت- ليبيا، ط١، صـ٧٧، خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٧٩.

(٣) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤١، ٥٥.

وفي سبيل إمداد الجنين باحتياجاته من الأكسجين والمغذيات الأخرى، يزداد معدل سريان الدم في الرحم ليبلغ ٥٠٠ ملليلتر/ دقيقة وربما وصل هذا إلى اللتر للدقيقة الواحدة في حالة الحمل بالتوائم[١].

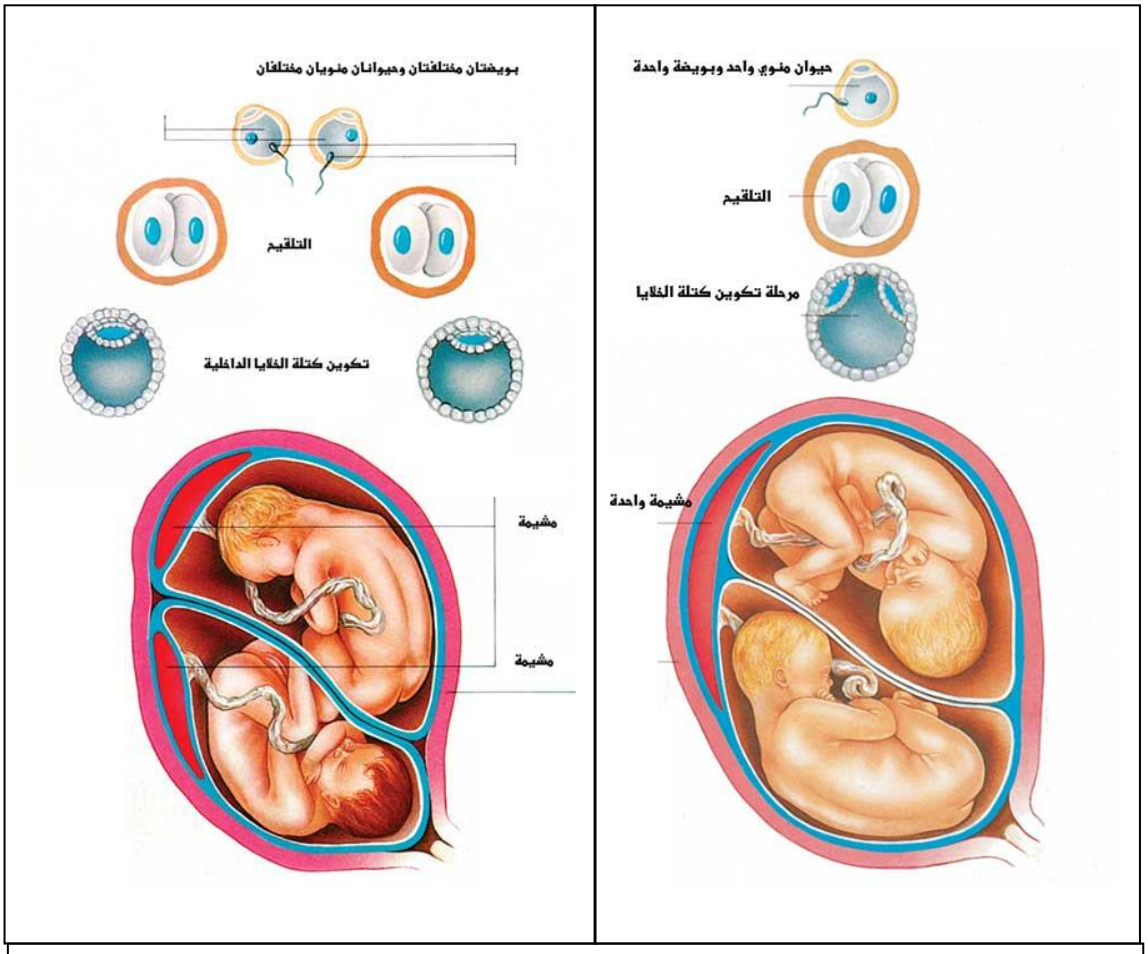

شكل يبين كيف يستجيب الرحم للجنين في التوائم

٥- تتعاون أربطة الرحم المتعددة مع بعضها البعض لحفظ الرحم في موضعه الطبيعي، ولكنها في نفس الوقت تسمح له بالحركة الحقيقية، كما تسمح له بالنمو الهائل في فترة الحمل، بحيث يملأ الرحم تجويف البطن حتى يصل إلى عظمة القص، ولكأنما الرحم جسر معلق تربطه مجموعة من الأربطة والأعمدة المتينة المحكمة، بل إنه أعظم من ذلك

(١) خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، ص٧٧.

بكثير، إذ لا يمكن للجسر المعلق أن ينمو أو يغير وضعه وهو متصل بمكانه لا يبرحه[١].

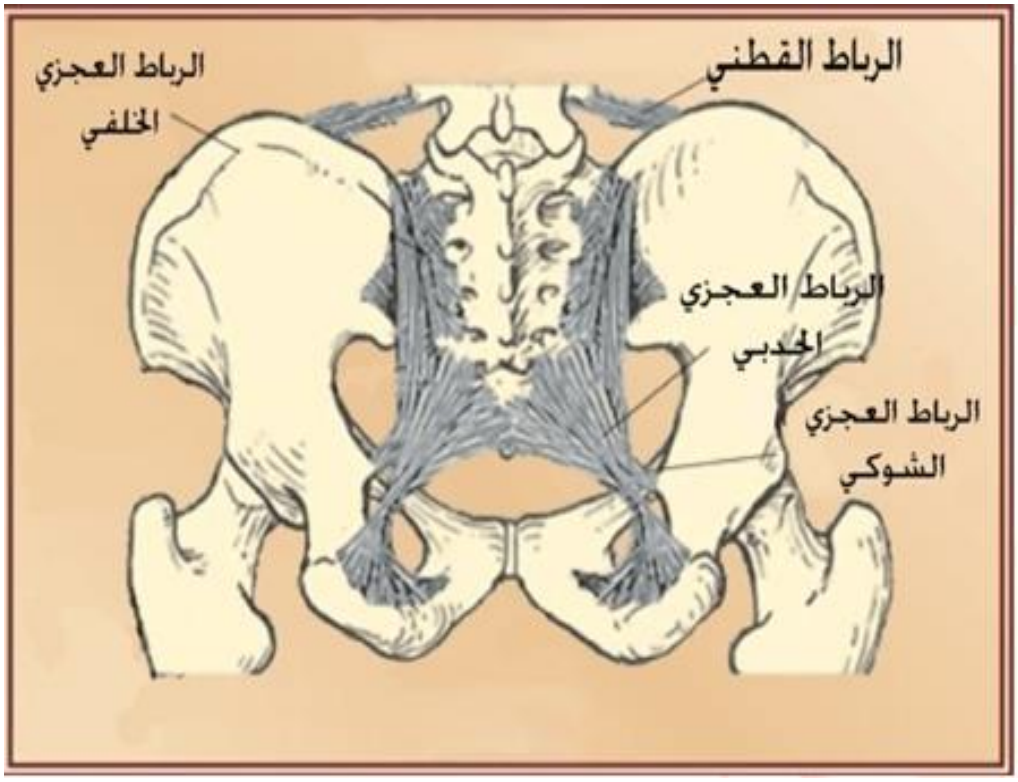

٦- على الرغم من متانة الحوض، إلا أن له أربعة مفاصل يمكن من خلالها أن يتحرك قليلاً، حتى يزداد اتساعه، عند الحمل والولادة، وقد أوضح العلم أن هرمون الحمل البروجسترون ضمن وظائفه العديدة يقوم بتيسير حركة مفاصل الحوض حتى يتسع ويؤثر على الأربطة المتينة المحكمة فيه، ويأمرها بالارتخاء فتسمع له وتطيع وترخي من قبضتها الحديدية فيزداد الحوض اتساعاً؛ حتى يتسنى للرحم أن يكبر ويتضاعف حجمه آلاف المرات[٢].

---

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٤، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٦٢، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ٩٩.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٨-٦٠.

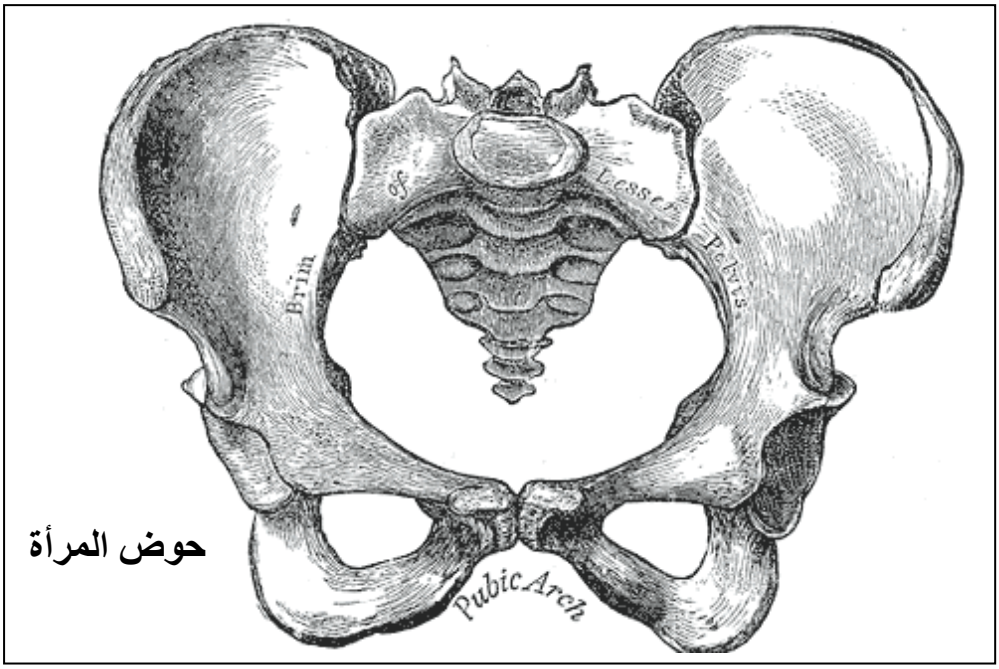

حوض المرأة

٧- تحفظ عضلات الحوض والعجان الرحم، كما تحفظ الأعضاء الأخرى الهامة الموجودة في الحوض، ولولا ذلك الضغط المستمر من عضلات العجان لسقطت أعضاء الحوض كالرحم وغيره ولبرزت إلى الخارج[١].

٨- تساند أعضاء الحوض بعضها بعضاً .. ويساعد اتصال الرحم بالعنق واتصال عنق الرحم بالمهبل مساعدة فعالة في ثبات الرحم في مكانه[٢].

٩- يحاط الجنين مباشرة بالسائل الأمنيوسي، الذي يزداد مع نمو الجنين، ويصل إلى لتر ونصف في الشهر السابع، ثم يعود إلى لتر قبيل الولادة، ولولا هذا السائل لما نجى جنين من موت محقق للآتي:

- لأن هذا السائل يغذي الجنين، ففيه مواد زلالية، ومواد سكرية، وأملاح غير عضوية.
- ولأنه يحفظه من الصدمات، فحينما تأتي الجنين صدمة من أي جهة قوتها (٤) كيلو جرامات على سنتيمتر مربع مثلاً، فإن السائل يوزع هذه القوة على كل السطح،

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٥، ٥٦، وانظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧، موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٦٨-١٦٩.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٥، ٥٦، وانظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ٩٨.

فيصبح هذا الضغط نصف مليمتر، فهذا السائل هو الذي يحمي الجنين من الصدمات والسقطات، والحركات العنيفة، التي تصيب المرأة الحامل.

- ولأنه يسمح للجنين بحركة حرة خفيفة، فالأجسام وهي في السوائل تبدو حركاتها أسهل بكثير مما لو لم يكن هناك سائل.
- ولأن هذا السائل جهاز تكييف، له حرارة ثابتة لا تزيد ولا تقل، إلا في حدود أجزاء من الدرجة، فمهما كان الجو الخارجي حاراً أو بارداً، فإن هذا السائل يحقق للجنين حرارة ثابتة تعينه على النمو.
- ولأنه يمنع من التصاق الجنين بالغشاء الأمنيوسي، ولو أن هذا الالتصاق حصل لكان هناك تشوهات في خلق الجنين[١].

الجنين داخل المشيمة وكأنه في مركبة فضائية

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٦٧-١٦٩، بتصرف، وانظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ٩٩.

١٠- يحاط الجنين بعدة طبقات بعد السائل الأمنيوسي وهي الغشاء الأمنيوسي المندمج بالمشيمة، وطبقة العضلات السميكة للرحم، ثم جدار البطن، وكل هذا يمد الجنين بمكان مناسب للاستقرار وللنمو الجيد[١].

الغشاء المحيط بالجنين يمنعه السائل الأمنيوسي من الالتصاق بجسم الجنين

ووجود الجنين في وسط مظلم داخل الرحم هو أمر مهم جداً لنموه، حيث تبدأ رحلة الخلق أو التَّخَلُّق منذ سقوط النطفة الأمشاج في الرحم، وانغراسها فيه، وهنا تتمثل عناصر الظلمة واضحة على الجنين في هذه المرحلة وما يليها، وهذا ما يقوم به جدار البطن، ثم جدار الرحم، ثم ما يحيط بالجنين من أغشية تسمى بالمشيمة، ولو لم يتوفر له هذا الوسط المظلم لما ولد الجنين في صورة سليمة، ولكان مصاباً بعاهات خَلْقِية، فقد يتسبب الضوء في إتلاف شبكية العين، قبل اكتمال نموها، كما أن الضوء قد يؤذي خلايا الجنين، وقد

(١) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ٤٧، وانظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٦٧، الإنسان ووجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم- د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، صـ٥٧،

يكون فتاكاً بالنسبة إلى البويضة، ولأن الجنين يعتمد على استنساخ الخلايا، فإذا تأذت الخلايا الأولى تولدت الخلايا المنسوخة مع الأذى الذي لحق بالأولى.

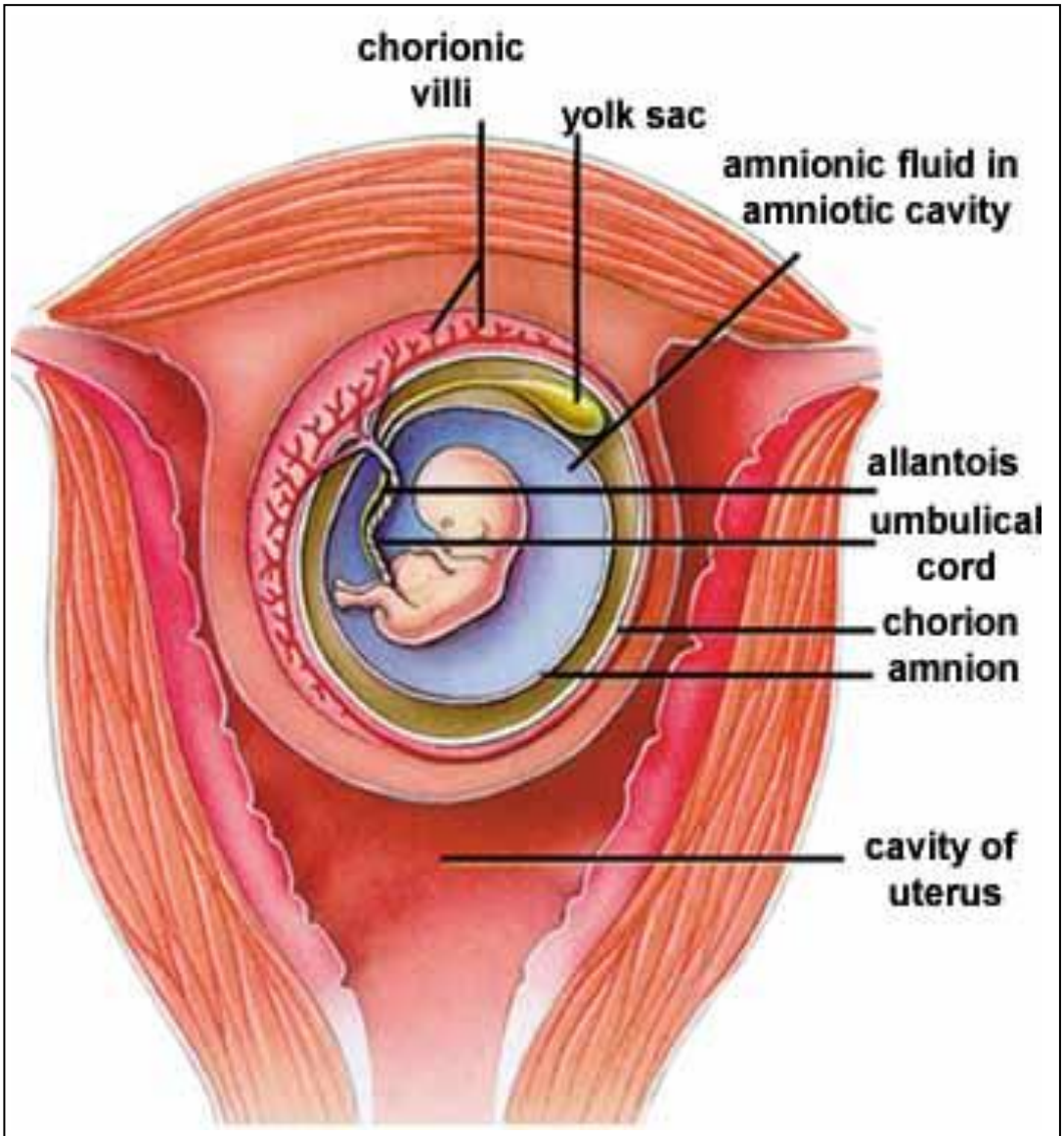

الحواجز التي تتسبب بتشكل ثلاث ظلمات بالنسبة للجنين
(جدار البطن- جدار الرحم- أغشية الجنين)

فلا بد إذاً لكي يتم الخلق كاملاً قوياً دون تشوه أن يتم ذلك في جوٍّ مظلم، فالخلايا الابتدائية لا تعيش في نور الشمس، بل تجف أو تتشوه أو تموت[١]، ويصاب الجنين بعاهات خلقية[٢]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظلمات الثلاث في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[٣].

وقد نقل الطبري[٤] هذا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة[٥]، .....

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٢٣، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٨٧,٧٧، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم- د. زغلول راغب مُحَمَّد النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ٢٠٩,٢٠٨/٣، موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات- شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان، من إصدارات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- رابطة العالم الإسلامي، ٧٥/٣.

(٢) انظر: موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات- المجلد الثالث- شبهات حول الإعجاز العلمي في الإنسان، صـ٧٥وما بعدها، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧، ٧٨، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٠١-١٠٢.

(٣) [الزمر:٦].

(٤) هو الإمام أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الآملي البغدادي، أحد الأئمة المفسرين، صاحب جامع البيان في تأويل القرآن، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، ولد بآمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، رحل إلى بغداد واستقر به المقام هناك، ومات سنة ٣٢٠هـ، وقيل: ٣١٠هـ، [انظر: تذكرة الحفاظ- مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٢٠٢/٢، طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي، وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر، ط٢: ١٤١٣هـ، ٣ /١٢٠، الوفيات- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بـ: ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، بيروت: ١٩٧٨م، ٢٠٣/١، طبقات المفسرين- أحمد بن مُحَمَّد الأدنَه ويْ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١٤١٧:١هـ- ١٩٩٧م، صـ٤٨-٥١].

(٥) عكرمة مولى بن عباس أبو عبد الله من أهل الحفظ، والإتقان، والملازمين للورع في السر والإعلان ممن كان يرجع إلى علم القرآن مع الفقه، والنسك، ممن كان يسافر في الغزوات، مات سنة ١٠٧هـ. [انظر: مشاهير علماء الأمصار- مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، ط١: ١٤١١ هـ- ١٩٩١م، ١٤٣/١].

والحسن[١]، ومجاهد[٢]، والضحاك[٣]، وغيرهم[٤]، ولم يذكر الطبري قولاً غيره في تفسيره حيث قال: «وقوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[٥]، يعني: في ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[٦].

وذكر ابن الجوزي[٧] أنه قول جمهور المفسرين[٨].

١١- إنَّ المقدرة الهائلة التي وهبها الله تعالى للمشيمة لهي معجزة كاملة، فهي غشاء رقيق يفصل بين دماء الأم ودماء الجنين، ومع هذا فهو يختار للجنين -وبعناية فائقة- كل ما يصلحه ويبقيه وينميه من دماء أمه، ويدخلها إليه، ويدفع عنه كل ما يؤذيه، ويختار المواد الضارة من دم الجنين ويخرجها إلى دماء الأم، بحيث يسمح لهذه المادة

---

(١) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين، لازم الجهاد، والعلم، والعمل، كان جامعاً، عالماً، عابداً، ناسكاً، رفيقاً، رفيعاً، مأموناً، ثقةً، قال الشعبي: لم أرى أحداً قط أشبه بالصحابة من الحسن البصري، مات سنة ١١٠هـ. [انظر: تذكرة الحفاظ، ٥٧/١، تهذيب الكمال في أسماء الرجال - يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٩٦/٦].

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة، وكان فقيهاً عالماً ثقة كثير الحديث، شيخ القراء والمفسرين، استقر في الكوفة، قيل إنه مات وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٣هـ. [انظر: الطبقات الكبرى- أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ١٩/٦].

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو مُحَمَّد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود، وهو صدوق في نفسه، حدَّث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٥هـ. [انظر: سير أعلام النبلاء- شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩: ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ٥٩٨/٤].

(٤) جامع البيان للطبري، ٢٥٨/٢١.

(٥) [الزمر:٦].

(٦) جامع البيان للطبري، ٢٥٨/٢١,٢٥٩.

(٧) هو الحافظ، المفسِّر، المحدث، المؤرخ ، الواعظ، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي بن عبيد الله، من نسل أبي بكر الصديق، ﷺ، من مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير، ولد سنة ٥٠٨هـ، ومات سنة ٥٩٧هـ. [انظر: تذكرة الحفاظ، ٩٢/٤].

(٨) انظر: انظر: زاد المسير، ١٦٣/٧.

أن تمر، بينما يمنع مادة أخرى مشابهة لها، فهو بواب عجيب.. حكيم.. يقف وقفة صارمة.. حازمة.. طوال الليل والنهار.. لا يكل ولا يمل، يقوم بوظائف عدةِ أجهزة من أجهزة الجسم.

كالجهاز التنفسي: بتوفير الأكسجين للجنين وسحب ثاني أكسيد الكربون منه.

والجهاز الهضمي: باختيار الغذاء المهضوم، وإعداده نوعاً وكماً، ويقدر بمقادير ومعايير محسوبة يومياً بحسب نمو الجنين وحاجته للغذاء يوماً بعد يوم.

والجهاز البولي: بإخراج المواد الضارة والفضلات، مثل البولينا ودفعها إلى دماء الأم.

كل هذا يتم دون أن يختلط دم الأم مع دم الجنين، فدم الأم مستقل وله دورة دموية مستقلة، ودم الجنين له دورة دموية مستقلة، وهذا الغشاء يفصل بينهما، وقد تكون للأم زمرة دموية تختلف عن الزمرة الدموية للجنين، هذا الغشاء حير الأطباء حتى أطلقوا عليه الغشاء العاقل، وهو تقدير إلهي ناطق برحمة الله وجميل لطفه.

ولا تكتفي المشيمة بهذه العجائب كلها، ولكنها ترسل هرموناً يثبت الجنين في الرحم، وينمي الثديين استعداداً لإفراز اللبن منهما حتى إذا خرج الجنين إلى الدنيا وجد غذاءه جاهزاً.

ولو تأمل الإنسان بعين البصيرة بما في هذه المشيمة من خصائص، ووظائف، ودقائق؛ لخرّ لله ساجداً[1].

---

(١) بتصرف واختصار من: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٦، ٥٧، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٧١-١٧٢.

الدورة الدموية للجنين مستقلة تماماً عن الدورة الدموية للأم

قد يكون للجنين زمرة دموية غير الزمرة الدموية للأم

تحدث المشيمة الظلمة الأولى حول الجنين

١٢- يستقر الرحم نتيجة لإفراز هرمون الحمل البروجسترون، إذ أن هذا الهرمون يجعل انقباضات الرحم بطيئة ومتئدة، عكس هرمون الأنوثة الأوستروجين الذي يجعل انقباضات الرحم نَزِقه هاشة باشة للمني.. ولا يمكن أن يحصل ذلك أثناء الحمل مثلاً؛ لأن هرمون البروجسترون (هرمون الحمل) يمنع الرحم من مثل هذا الطيش،

ويأمره بالسكينة والوقار، فإن بداخله درة مكنونة لو فعل بها ذلك لقذفها إلى الخارج[١].

١٣- إن النسيج الخلوي الضام الذي يحيط بعنق الرحم، وبالجزء العلوي من المهبل، ويربط أجزاء المثانة من الأمام، والمستقيم من الخلف، يساند مساندة فعالة في جعل الرحم قراراً مكيناً لنمو النطفة الإنسانية في أدوارها المختلفة، كما أننا نلاحظ توازناً عجيباً بين الضغط الموجود في تجويف البطن وتجويف الحوض بحيث يمسك بالأعضاء في أماكنها[٢].

١٤- يختلف حوض المرأة عن حوض الرجل بخصائص تهيئه للقيام بوظيفته على أكمل وجه، فحوضها أوسع وأقصر، وعظامه أرق وأقل خشونة، وأبسط تضاريساً[٣].

وقد ذكر أهل الاختصاص بعض الفروق بين حوض الرجل والمرأة منها:

- عظام المرأة أخف وزناً، ومكان اتصال العضلات أقل وضوحاً عنها في الرجل.
- حوض المرأة أكثر اتساعاً وأقصر من حوض الرجل، والشرم الوركي الكبير والصغير أوسع وأقل عمقاً في المرأة عنه في الرجل.
- تتجه الشوكة الحرقفية والحدبة الحرقفية إلى الخارج في المرأة، وإلى الداخل في الرجل.
- تبلغ زاوية التقوس العاني (٩٠) درجة في المرأة، وأقل من ذلك في الرجل.
- مدخل الحوض مستدير أو بيضاوي في المرأة، وقلبي الشكل في الرجل[٤].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٦، ٥٧. وانظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٠٢.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٦، وانظر: موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٦٨.

(٣) موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ٥٨.

(٤) أنظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٤٨.

١٥- يحفظ الحوض العظمي الرحم بداخله بحيث لا يصله شيء من الكدمات والهزات التي تتعرض لها المرأة، بل لو أصيبت المرأة في حادث أو سقطت من شاهق وتكسرت عظامها فإننا نجد الرحم في أغلب الأحوال سليماً لم يمسه سوء[(١)].

١٦- للرحم عضلات وأوعية رابطة تحمي الجنين داخله[(٢)]، فلو أن شخصاً اعتدى على امرأة ومزق أحشاءها بالسِّكِّين فإنه لن يستطيع أن يصل إلى الرحم إلا إذا كانت المرأة حاملاً في الشهر الرابع فما بعده، وأما قبل ذلك فيكاد يكون من المستحيل الوصول إلى الرحم بأي أذى[(٣)].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٨، وانظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧، موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٦٩.

(٢) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ٤٧.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٨.

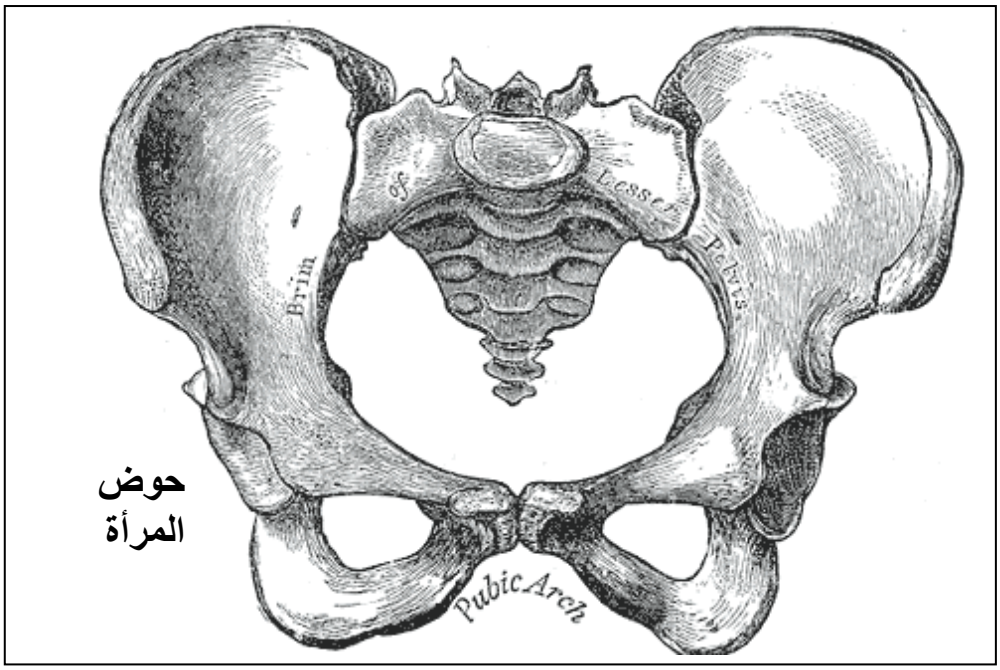

حوض
المرأة

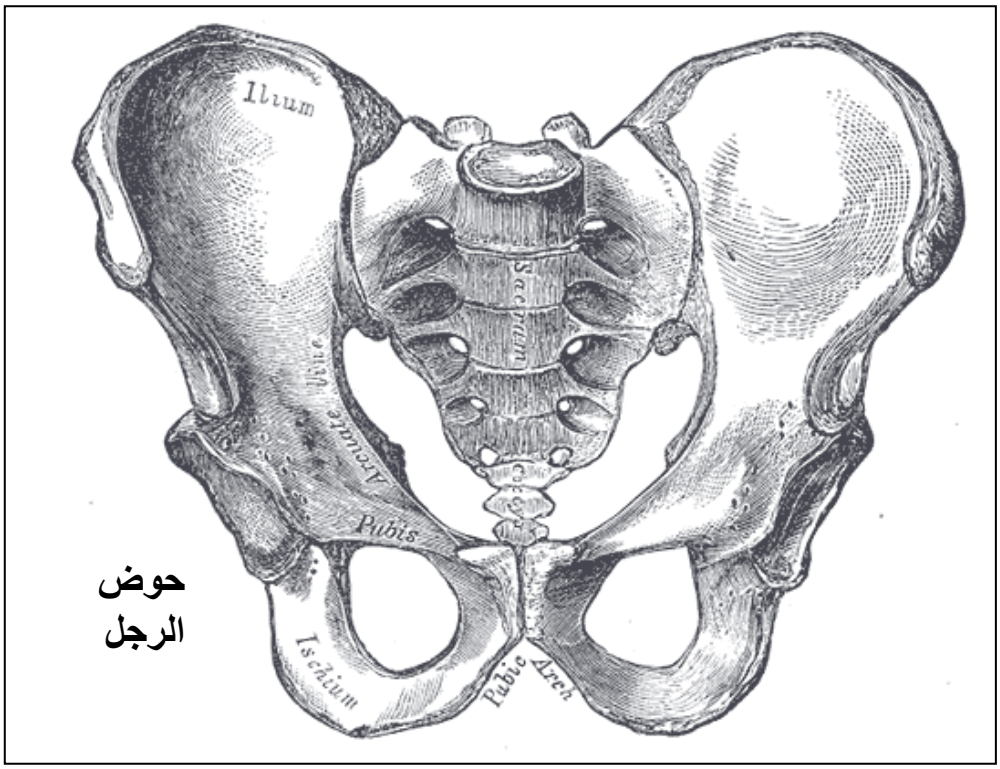

حوض
الرجل

١٧- يُعَدُّ الرحم للنطفة ولمراحل الجنين اللاحقة السكن المناسب لمدة تسعة أشهر[١].

١٨- بالرغم من أن طبيعة الجسم أن يطرد أي جسم خارجي، فإن الرحم يأوي الجنين ويغذيه[٢]، بل ويفرز مادة لاصقة تجعل البويضة الملقحة تلتصق في جداره، ثم يسمح لها بالانغراس والتوغل فيه، فهو قرار لها وليس ممراً، ثم إن في الرحم عدداً من الأوعية الدموية يفوق حد التصور، كلها تمد هذه البويضة الملقحة بالدم ليتغذى الجنين، ولينمو في سرعة تعد أسرع ما في جسم الإنسان من نسيج في تكاثره وانقسامه[٣]، وقد أعد الرحم لهذا الغرض، فتجد الجسم يزيد من تروية الرحم بالدماء، ويزيد من سماكة بطانته من نصف مليمتر حتى تصل إلى خمسة أو ثمانية مليمترات[٤].

١٩- يفرز الجسيم الأصفر هرمونه الهام ليجعل الرحم يستعد لاستقبال البويضة فيزيد من تروية الرحم بالدماء، بل إنه يوجه عضلات الرحم إلى ترك الحركات العنيفة التي قد تلقي بالنطفة، وتستمر هذه الرعاية من الجسيم الأصفر حتى الشهر الثالث عندما يكتمل نمو المشيمة لتواصل المهمة على أكمل وجه[٥].

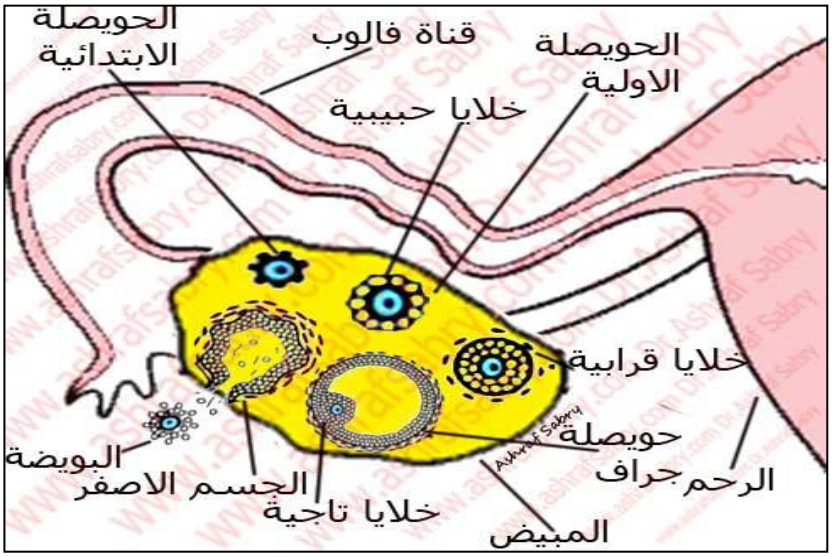

(١) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ٤٧.

(٢) المرجع السابق، صـ٤٧، وانظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٠٢.

(٣) أنظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٦٢، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٠٣-١٠٤.

(٤) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٧١، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧١،

(٥) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٧٢- ٧٣.

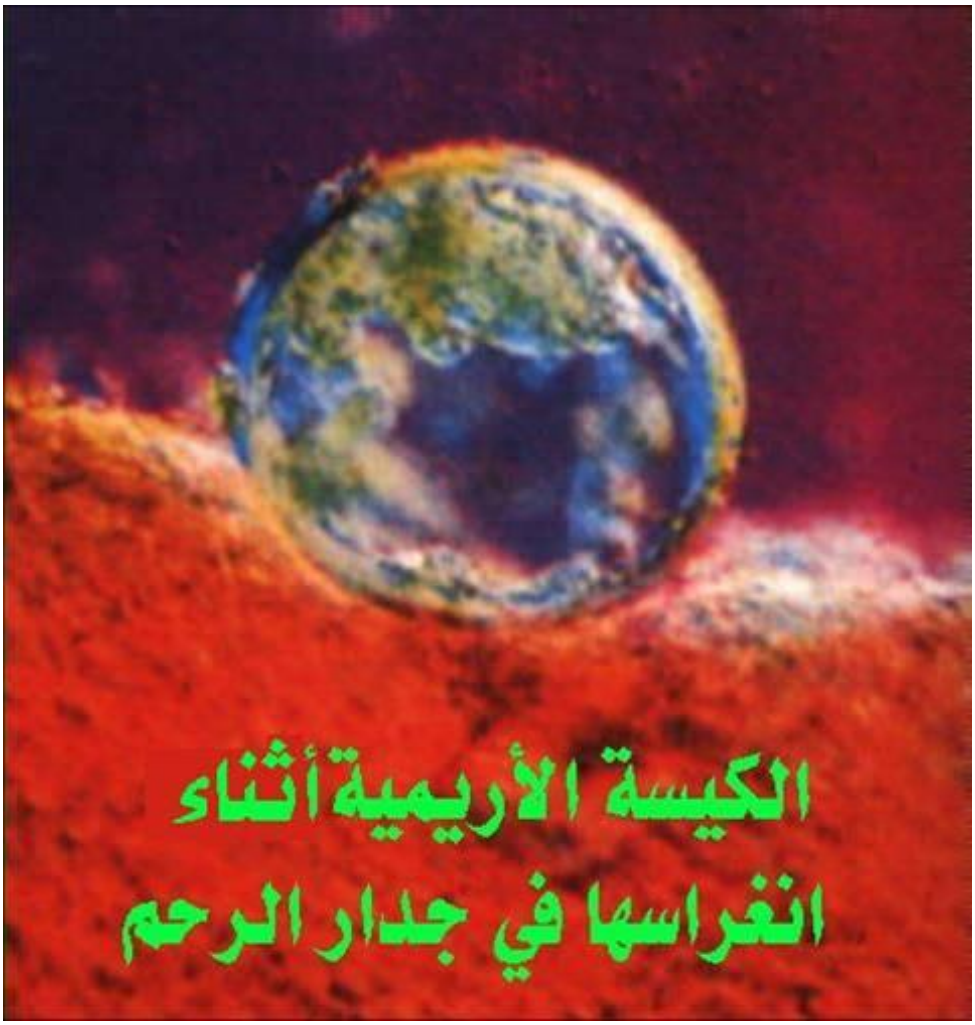
الكيسة الأريمية أثناء
انغراسها في جدار الرحم

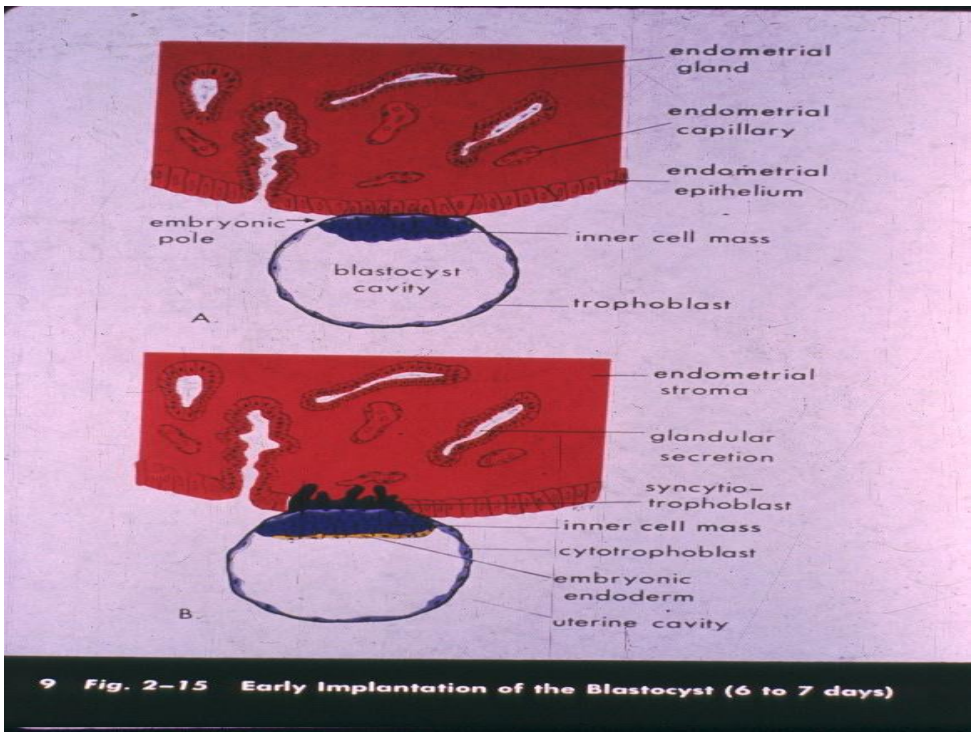
endometrial gland
endometrial capillary
endometrial epithelium
embryonic pole
inner cell mass
blastocyst cavity
trophoblast
A
endometrial stroma
glandular secretion
syncytio-trophoblast
inner cell mass
cytotrophoblast
embryonic endoderm
uterine cavity
B
9 Fig. 2–15 Early Implantation of the Blastocyst (6 to 7 days)

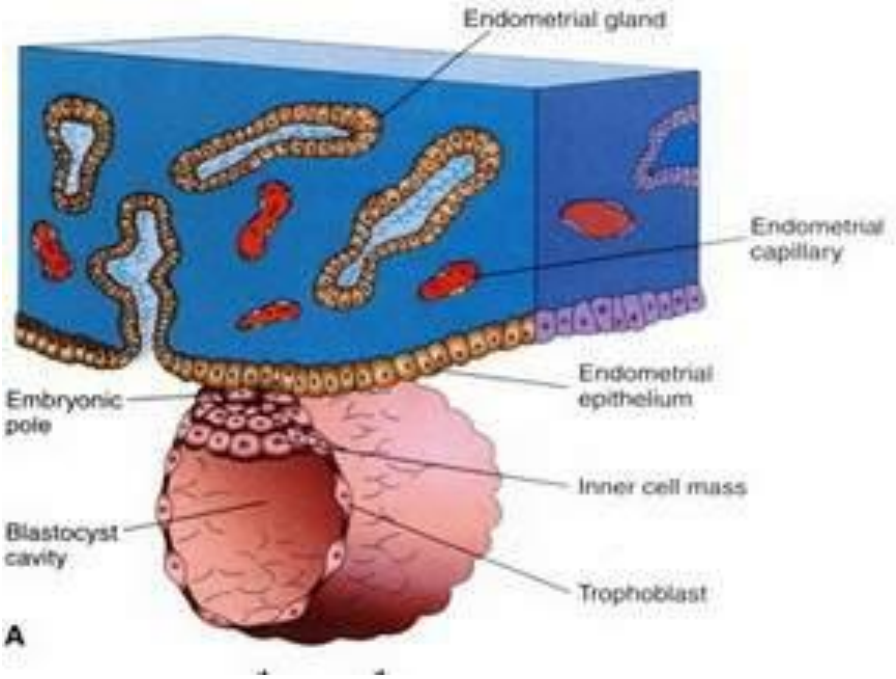

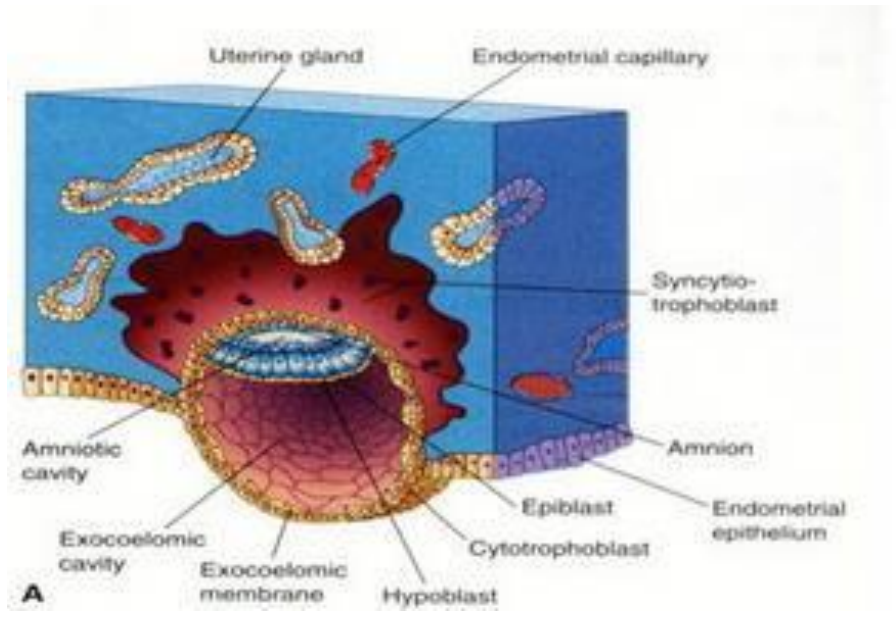

يلتصق الكيس الذي يحوي بداخله الجنين في جدار الرحم، ثم يحفر في جداره حتى ينغرس ويغطى ببطانة الرحم دون أي مقاومة، بل إن الرحم يهيئ له المكان المناسب ويغذيه

ألا يعتبر الرحم بعد ذلك قراراً مكيناً، وحصناً منيعاً، وملاذاً أميناً لتلك النطفة حتى تنمو وتستقر وتصبح جنيناً[١].

وهكذا فإن كلمة (قَرَار) قد استعملت في القرآن الكريم لكل هذه المعاني وغيرها، متضمنة وظائف الرحم باعتباره مكاناً مناسباً لاستقرار الجنين وتمكينه من مواصلة نموه.

وقد جمع اللفظ الذي وصف القرآن الكريم به الرحم بقوله: ﴿قَرَارٍ﴾ كل الحقائق التي اكتشفها العلم، لبيان مناسبة الرحم لاستقرار الجنين، فهو لفظ معبر جامع.

أما كلمة ﴿مَكِينٍ﴾ فتعني مثبت بقوة، وهذا يشير إلى علاقة الرحم بجسم الأم، وموقعه المثالي لتخلق ونمو كائن جديد.

وقد عرفنا أن الرحم يقع في وسط الجسم، وفي مركز الحوض، وهو محاط بالعظام والعضلات والأربطة التي تثبته بقوة في الجسم، أي أنه مكين، كما قرر القرآن الكريم.

وهذا أيضاً لفظ جامع معبر عن كل المعاني التي تبين تمكن الرحم وتثبيته في جسم الأم.

وهكذا فإن كل وصف يتضمن العلاقة بين الجنين والرحم، وبين الرحم وجسم الأم، قد أدخل في معنى الكلمتين ﴿قَرَارٍ﴾ و ﴿مَكِينٍ﴾ اللتين تعبران تعبيراً تاماً عن حقيقة الرحم ووظائفه الدقيقة، ولا يفطن إلى أهمية هذين الوصفين إلا من له علم بحاجات نمو الجنين، وحاجات الرحم، لمواكبة هذا النمو حتى يخرج سليماً[٢].

ولا ننسى أن حروف كلمتي الرَّحِم والرَّحْمَة واحدة، فالرحم هي قرار مكين يتمتع بكل هذه الصفات التي تجعله يتحمل ما قد أُعدّ له من أعباء الحمل والولادة الشديدة، ولديه المِكْنَة أي القوة والشدة والمِكْنَة، أي: التمكن الذي يعطيه للمخلوق الجديد، فالرحم محمية من الإصابات، ومن التمزقات، ومن الإنتانات، والإشعاعات، والملوِّثات، ومن الحرارة والبرودة، بل إن الجنين محميٌ من أمه مناعياً مثلما هي محمية منه[٣].

---

(١) موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٦٩.

(٢) أنظر: علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ٤٧، ٤٨.

(٣) أنظر: من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترائب- السعدي، صـ١٠٧.

يقول الدكتور مأمون شقفة[1]: «واللهِ إنَّ هذه العبارة - أي: القرار المكين — وحدها كافية كدليل لا يرقى إليه الشك على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، وعلى أن قائلها هو نفسُه الذي خلق الرحم وأحاط بوظائفها جميعاً علماً، بل إن خلْق الرحم وجعلها قراراً وجعلها مكيناً وما وظائفها التي ندرسها في كتب الطب إلا تجسيد لهاتين الكلمتين.

فمهما استعرضنا الخدمات المختلفة التي تقدمها الرحم للمخلوق الجديد فإنها جميعاً تندرج تحت هاتين الكلمتين، ولن تجد شيئاً تقوم به الرحم خدمة للولد يخرج عن هذه العبارة.. فأي إعجاز هنا»[2].

وبعد أن عرفنا أوصاف وخصائص الرحم والتي هيئها الخالق سبحانه في هذا العضو ليكون سبباً في استقرار الجنين وثباته طوال مراحله، فقد آن لنا أن نعرف أيضاً الأسباب التي هيئت لإخراج هذا المخلوق من هذا المكان الحريز.

ونعرف الكيفية التي يتخلى بها الرحم عن الجنين الذي احتضنه تسعة أشهر قمرية؟.

---

(١) هو الدكتور مأمون شقفة الطبيب السوري، زميل كلية المولدين والنسائيين في لندن، وأستاذ مشارك في التوليد وأمراض النساء بجامعة دمشق سابقاً، وشغل منصب أمين سر جمعية لمولدين السوريين، انتقل إلى الإمارات وعمل استشاري ورئيس أقسام النساء والولادة بمستشفى راشد في دبي، ولد في: ١٩٣٦/٩/٣٠م، وتوفي في: ١٠/محرم/١٤٣٤هـ، الموافق/٢٠١٢/١١/٢٤م، في دبي بعد صراع مع المرض. [انظر: موقع رابطة العلماء السوريين: http://www.islamsyria.com/cvs.php?action=details&CVID=362].

(٢) نقلاً عن: من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترائب- السعدي، صـ١٠٧.

المبحث الثاني:

تَيسِيرُ السَّبِيل

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تيسير السبيل في لغة العرب وفهم المفسرين.

المطلب الثاني: تيسير سبيل الولادة في ضوء المعطيات العلمية.

المطلب الثالث: التضحية عند الأم الحامل نوع من تيسير السبيل.

المطلب الرابع: تيسير السبيل بعد الولادة. (تدابير للحياة خارج الرحم).

تمهيد:

من السنن والنعم التي سخرها الله لهذا الإنسان تيسير خروجه من بطن أمه، وهو ما سوف نتناوله في هذه الأسطر، لنقف مع آية من كتاب الله تعالى جاءت في سياق الامتنان والدعوة للتأمل والتدبر في حياة هذا الإنسان، قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾(١).

وسيكون الكلام عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، من خلال معرفة معنى السبيل في لغة العرب، وكيف فهم المفسرون معنى تيسير السبيل، ثم استعراض بعض الاكتشافات العلمية التي وضحت وبينت أسرار تيسير خروج الجنين من الرحم، وما تقدمه الأم الحامل من تضحيات لتحقيق هذا الهدف، وكيف تستمر عناية الله تعالى في تيسير السبيل للمولود بعد الولادة، من تهيئة التدابير اللازمة للحياة خارج الرحم ..

وذلك في أربعة مطالب..

---

(١) [عبس:١٧-٢٠].

المطلب الأول:

تيسير السبيل في لغة العرب وفهم المفسرين

قال تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[1].

أولاً: السبيل في لغة العرب:

السَّبيلُ: في الأَصل الطَّريقُ وما وَضَحَ منه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾[2]، والسَّبيلُ: السبب والوصلة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[3]، أي سبباً ووصلة، والسبيل: الحرج : يقال: ليس علي في كذا سبيل، والسبيل: الحجة: يقال: ليس لك علي سبيل[4].

ويقصد به غالباً في اللغة: الطريق[5].

ثانياً: أقوال المفسرين في المقصود بتيسير السبيل:

المعنى اللغوي للسبيل هو ما فهمه المفسرون من هذا اللفظ، قال الطبري: « ثم يسره للسبيل، يعني للطريق»[6].

وتعددت آراؤهم في المقصود بهذا السبيل، فذكر الطبري والماوردي[7] وغيرهم من

---

(١) [عبس: ٢٠].

(٢) [يوسف:١٠٨].

(٣) [الفرقان:٢٧].

(٤) انظر: مختار الصحاح، صـ٣٢٦، لسان العرب، ٣١٩/١١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ٤٢٧/٢، تاج العروس، ١٦١/٢٩، المعجم الوسيط، ٤١٥/١.

(٥) انظر: لسان العرب، ٣١٩/١١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢٦٥/١، تاج العروس، ١٦١/٢٩.

(٦) جامع البيان للطبري، ٢٢٣/٢٤.

(٧) هو علي بن مُحَمَّد بن حبيب أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي صاحب التصانيف المليحة الجيدة، روى عنه الخطيب ووثقه، ولي القضاء ببلدان كثيرة، ثم سكن بغداد وتفقه على أبي القاسم الصيمري بالبصرة، وارتحل إلى أبي حامد الإسفراييني، من تصانيفه: كتاب الحاوي في الفقه، وغيرها، توفي سنة ٤٥٠هـ، [انظر: سير أعلام النبلاء، ٦٤/١٨، الوافي بالوفيات- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٢٩٧/٢١].

المفسرين أربعة أقوال في المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[1].

الأول: خروجه من بطن أمه، روي عن ابن عباس.

الثاني: سبيل الهدى والضلالة، قاله الحسن.

الثالث: سبيل السعادة والشقاوة، قاله مجاهد[2].

الرابع: قال الماوردي: «ويحتمل رابعاً: سبيل منافعه ومضَارِّه»[3].

وهذه الأقوال جميعها لا تعارض فيما بينها، فتيسير خروجه من الرحم، لا يتعارض مع تيسير سبل الهدى والضلالة، كما هو في القولين الأول والثاني.

وأما القول الثالث أي: سبيل السعادة والشقاوة، فهو داخل ضمناً تحت القول الثاني، إذ لا سعادة إلا بالهداية، ولا ضلالة دون شقاوة.

وأما القول الرابع: أي: سبيل منافعه ومضَارِّه، فهو أعم من الأقوال السابقة، فيدخل فيه تيسير كل ما يتعلق بحياة الإنسان وشئونه الدنيوية والأخروية، وذلك بتيسير كسب منافعه ومضاره، أو تمييزه لسبيل الهداية والغواية، وتمكينه من اختيار أو فعل ذلك، فهو بنفس معنى القول الثاني إلا أنه هنا أعمّ وأشمل.

فالاختلاف بين الأقوال هو اختلاف تنوع، إذ لا يلزم من أخذ أحدها رد ما سواه، بل يتسع اللفظ هنا لأكثر من معنى، فالله جل وعلا يسر خروج الجنين من بطن أمه، ويسر له سبيل منافعه ومضَارِّه، ويسر له التمييز بين سبل الهداية والضلالة، أو سبيل السعادة والشقاوة، وكلها معانٍ صحيحة تحتملها الآية الكريمة، والله أعلم.

ويمكن جمع هذه الأقوال الأربعة في قولين ذكرها أكثر المفسرين:

القول الأول: هو خروجه من بطن أمه[4].

---

(١) [عبس: ٢٠].

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٢٢٣/٢٤، النكت والعيون، ٢٠٦/٦.

(٣) النكت والعيون، ٢٠٦/٦.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٤٥٣/٣، جامع البيان للطبري، ٢٢٣/٢٤، بحر العلوم- أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ٥٢٥/٣، النكت والعيون للماوردي، ٢٠٦/٦، معالم التنزيل- أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط٤: ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ٣٣٧/٨،

والقول الثاني: طريق الحق والباطل، بيناه له وأعلمناه، وسهلنا له العمل به[1].

وممن رجح القول الأول الإمام الطبري حيث قال: «وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره»[2].

ثم بيَّن -رحمه الله- علة الترجيح فقال: «وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره

الكشاف للزمخشري، ٧٠٤/٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١: ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ٤١١/٥، زاد المسير في علم التفسير- عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ، ٣١/٩، مفاتيح الغيب للرازي، ٣١ /٦٣، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ٢١٨/١٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان مُحَمَّد الشعار، دار النفائس، بيروت: ٢٠٠٥م، ٢٥٨/٤، لباب التأويل للخازن، ٣٩٥/٤، البحر المحيط- مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي مُحَمَّد معوض، بمشاركة آخرين، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٤٢٠/٨، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ١٦١/٢٠، نظم الدرر للبقاعي، ٣٢٩/٨، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العماد، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١١٠/٩، تفسير روح البيان- إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، ٢٦١/١٠، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤٤/٣٠، التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٢٣/٣٠.

(١) جامع البيان للطبري، ٢٢٣/٢٤، بحر العلوم للسمرقندي، ٥٢٥/٣، النكت والعيون للماوردي، ٢٠٦/٦، الكشاف للزمخشري، ٧٠٤/٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤١٢/٥، زاد المسير لابن الجوزي، ٣١/٩، مفاتيح الغيب للرازي، ٦٣/٣١، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٨/١٩، مدارك التنزيل للنسفي، ٢٥٨/٤، لباب التأويل للخازن، ٣٩٥/٤، البحر المحيط لأبي حيان، ٤٢٠/٨، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ١٦٢/٢٠، نظم الدرر للبقاعي، ٣٢٩/٨، إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ١١٠/٩، تفسير روح البيان، ٣٣٠/١٠، روح المعاني، ٤٤/٣٠، فتح القدير للشوكاني، ٥٤٤/٥، التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٢٣/٣٠، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص:٩١١.

(٢) جامع البيان للطبري، ٢٢٤/٢٤.

جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده»[(١)].

وذكر السمعاني[(٢)] أن هذا القول اختاره أكثر أهل التفسير[(٣)].

وممن رجح القول الثاني ابن كثير[(٤)] في تفسير القرآن العظيم[(٥)]، والشوكاني[(٦)] في فتح القدير[(٧)]، وحملاه على معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ﴾[(٩)]، [(١٠)].

---

(١) جامع البيان للطبري، ٢٢٤/٢٤.

(٢) هو منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث، من أهل مرو، مولداً ووفاةً، كان مفتي خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو، له تفسير القرآن للسمعاني، والانتصار لأصحاب الحديث، ولد سنة ٤٢٦هـ، وتوفي سنة ٤٨٩هـ. [انظر: سير أعلام النبلاء، ١١٩/١٩].

(٣) تفسير القرآن- أبو المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم- غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ١٥٩/٦.

(٤) هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، فقيه مفسر، مؤرخ، ولد سنة ٧٠٠هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ، [انظر: المعجم المختص بالمحدثين- مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق: ١٤٠٨هـ، صـ٧٤، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، تحقيق: مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٤١٤/٢].

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣٢٢/٨.

(٦) هو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، فقيه، مجتهد، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن سنة ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها، ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد، توفي سنة ١٢٥٠هـ. [انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع- مُحَمَّد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ٢١٤/٢، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ- مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ٣٧٩/٢، الإمام الشوكاني حياته وفكره- عبد الغني قاسم غالب الشرجي، صـ١٥٠، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٧) فتح القدير للشوكاني، ٥٤١/٥.

(٨) [الإنسان:٣].

(٩) [البلد:١٠].

(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣٢٢/٨، فتح القدير، ٣٨٤/٥.

ولا تعارض بين القولين إذ لا يلزم من أخذ أحد القولين رد الآخر، بل يتسع اللفظ لأكثر من معنى، فتيسير خروجه من بطن أمه وكذلك تيسير سبل الهداية له، كلها معانٍ صحيحة تسعها اللفظة القرآنية، فالآية عامة في كل سبيل ييسره الله تعالى لهذا الإنسان، ولفظ (السبيل) يَعُمُّ تيسير أموره كلها من ولادته إلى موته، والأصل بقاء العام على عمومه مالم يرد مخصص، والجمع بين الأقوال أولى من ترجيح أحدها على الآخر ما دمنا لم نجد أي تعارض فيما بينها.

فعلى هذا يكون كل قول من هذه الأقوال يذكر فيه المفسر جانباً من جوانب التيسير، فكأن كل قولٍ منها يُكَمل القول الآخر، سيما وأن التوفيق بين الأقوال واعتبارها صحيحة جميعها – إذا أمكن الجمع- أولى من ترجيح أحدها وإهمال الأقوال الأخرى[(١)]، والله أعلم.

وعلى القول الأول وهو: تيسير خروج الجنين من بطن أمه، فقد ذكر بعض المفسرين كيفية هذا التيسير نذكر من كلامهم ما يلي:

نقل **الفخر الرازي**[(٢)] عن أصحاب هذا القول أنه: «كان رأس المولود في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت، فإذا جاء وقت الخروج انقلب، فمن الذي أعطاه ذلك الإلهام إلا الله، ومما يؤكد هذا التأويل أن خروجه حياً من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب»[(٣)]

---

(١) أنظر تقرير القاعدة في: الإحكام في أصول الأحكام- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو مُحَمَّد، دار الحديث، القاهرة، ط١: ١٤٠٤هـ، ١٥٨/٢، المحصول في علم الأصول- فخر الدين مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١: ١٤٠٠هـ، ٥٤٧/٢، نهاية السول شرح منهاج الوصول للبيضاوي- جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٤٣٨/١، التقرير والتحرير في علم الأصول- ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت: ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ٣٥٠/١.

(٢) هو مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، ولد في الري من طبرستان، سنة ٥٤٤هـ، رحل إلى خوارزم، وما وراء النهر، وخراسان، له تصانيف في فنون عديدة منها: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، توفي سنة ٦٠٦هـ. [انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٤٨/٤].

(٣) مفاتيح الغيب للرازي، ٦٣/٣١.

قال البيضاوي[1]: «﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم، وألهمه أن ينتكس»[2].

وقال ابن عادل صاحب اللباب[3]: «﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، قيل: المراد: تيسير خروجه من بطنِ أمِّه، ولا شكَّ أن خروجه حيًّا من أضيقِ المسالك من أعجب العجائبِ، يقالُ: إنه كان رأسه في بطن أمه من فوق، ورجلاهُ من تحت، فإذا جاء وقت الخروج انقلب، فمن الذي أعطاه ذلك الإلهام»[4].

وجاء في تفسير روح البيان: «﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، منصوب بمضمر يفسره الظاهر، أي: سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم، وكان غير مفتوح قبل الولادة، وألهمه أن ينتكس، بأن ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت، ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد»[5].

وقال الألوسي: «﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي: ثم سهل مخرجه من البطن كما في رواية عن ابن عباس بأن فَتَحَ فم الرحم، ومدد الأعصاب في طريقه، ونكس رأسه لأسفل بعد أن كان في جهة العلو»[6].

---

(١) هو عبد الله بن عمر، بن مُحَمَّد بن علي، أبو سعيد، أو أبو الخير، العلامة ناصر الدين البيضاوي الشيرازي الشافعي، قاضي شيراز وعالم أذربيجان وتلك النواحي، كان إماماً بارعاً مصنفاً، ومن مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ولد بالمدينة البيضاء بفارس- قرب شيراز، ومات بتبريز في سنة ٦٨٥هـ، [انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ١٥٦,١٥٥/٨، طبقات الشافعية - أبو بكر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٧هـ، ١٧٢/٢، ١٧٣].

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي، صـ٥٥٣.

(٣) هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، صاحب التفسير الكبير اللباب في علوم الكتاب، وكان مشهوراً مشحوناً بأنواع قواعد العربية والعلوم السائرة في التفسير، توفي سنة ٨٨٠هـ، [انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي، ٤١٨/١، الأعلام للزركلي، ٥٨/٥].

(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ١٦١/٢٠.

(٥) تفسير روح البيان، ٣٣٠/١٠.

(٦) روح المعاني، ٤٤/٣٠.

المطلب الثاني:

تيسير سبيل الولادة في ضوء المعطيات العلمية

بعد أن قضى الجنين مدة تسعة أشهر قمرية – قد تزيد عن ذلك أو تنقص– تنتهي مدة إقامته في الرحم، ويأتي القدر المعلوم لخروجه، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ* فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[1]، فقد أصبح جاهزاً للخروج، ومهيأً لحياة تختلف عن حياته السابقة، فعندها يأتي موعد ولادة هذا المخلوق، وخروجه من رحم أمه.

ولكن الدارس لتشريح قناة الولادة يعرف أنها تبدو في وضعها الطبيعي ممراً يصعب مرور الجنين منه، إلا أنَّ الخالق سبحانه قد جعل فيه عوامل كثيرة تسهل عملية الولادة، من هذه العوامل:

١– هرمون ريلاكسين: وهو هرمون يفرزه المبيضان والمشيمة، ويؤدي إلى تراخي أربطة مفاصل الحوض، وتليين عنق الرحم.

٢– تقلصات الرحم: وهي تبدأ في الجزء العلوي من الرحم، الذي يتكون من نسيج العضلات المتقلصة المتحركة النشطة، الذي يؤمن القوة اللازمة لدفع الوليد خلال الجزء السفلي الساكن الرقيق من الرحم.

٣– أغشية السلى: وهي عبارة عن كيس الماء الأمنيوسي الذي يحيط بالجنين ويسهل انزلاقه، وتبرز هذه الأغشية الممتلئة بالسائل المخاطي على شكل كيس مائي من خلال عنق الرحم مع كل تقلص من تقلصاته، وتعمل على تسهيل تمدده، وتؤمن هذه الأغشية – بعد أن تتمزق – سطحاً لزجاً ناعماً ينزلق الجنين عليه[2].

٤– السائل الأمنيوسي: يعمل على توسيع عنق الرحم، ويقي الجنين من أن ينحشر أو ينضغط بين جدران عنق الرحم، أثناء الولادة وما يكون فيها من ضغط عالٍ جداً، ولولا لطف الله تعالى، ثم جيب المياه هذا لتهشم رأس الجنين أثناء الولادة، ولا يكتفي السائل الأمنيوسي بكل هذا، ولكنه يقوم بتمهيد وتعقيم الطريق للجنين عندما ينفجر

---

(١) [المرسلات: ٢٠-٢٣].

(٢) أنظر: علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، صـ١٣٠-١٣٢.

جيب المياه فيقتل الميكروبات الموجودة في المهبل قبيل الولادة مباشرة لئلا يصاب الجنين بالتسمم، فيضمن للجنين طريقاً ممهداً ومعقماً في نفس الوقت[١].

٥- تنفرج الزوايا لتجعل ما بين الرحم وعنقه طريقاً واحداً وسبيلاً واحداً ليس فيه أي اعوجاج، حيث يكون الرحم مائلاً إلى الأمام بزاوية درجتها (٩٠) تقريباً، وفي الحمل يكون وضع الرحم مع عنقه في خط واحد وخاصة في آخر الحمل بدون زوايا[٢].

٦- اذا قرب موعد الولادة انضم رسول آخر إلى هرمون البروجسترون الذي يساعد في توسع الحوض اثناء الحمل، هذا الرسول الجديد يسمى هرمون الارتخاء RELAXIN فيأمر الحوض أن يتسع، فيتسع، كما أن جزءاً من مفاصل حوض الأم تتحرك إلى الخلف، وعند ذاك يمر الطفل في ذلك الطريق الضيق الذي احتار فيه القدماء كيف تسنى له أن يمر به دون أن ينحشر انحشاراً مميتاً، ولكن بهذه الطريقة تتم عملية الولادة بسهولة ويسر، وإلا لامتنع خروج الطفل أثناء الولادة، فانظر إلى ألطاف الحكيم الخبير القائل: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٣]، ولولا ذلك اللطف الإلهي والإحكام البديع لما تمكنت امرأة أن تضع مولودها إلا بعملية جراحية[٤].

٧- يتكون الرحم من ثلاث طبقات منها الطبقة العضلية الثخينة والمكونة ذاتها من ثلاث طبقات من العضلات، ولهذه العضلات أهمية خاصة في منع النزيف من الرحم وخاصة بعد الولادة، إذ لولا انقباضها الشديد لتفجرت الأوعية الدموية المتفتحة أنهاراً من الدم حتى تودي بحياة الأم، ولكن الله هيأ هذه العضلات العاصرة لتقفل هذه

---

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤١٨-٤١٩، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٦٨.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٥٤.

(٣) [عبس:٢٠].

(٤) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٠، علم الإيمان- عبد المجيد الزنداني- بمساعدة مجموعة الإيمان، مركز البحوث بجامعة الإيمان، ط١: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، الجزء الأول صـ١٣٢، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ٢٧٠، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٣٤.

الفوهات المتدفقة بالدماء عقب الولادة مباشرة، فينقبض الرحم قبضة واحدة يتكور بعدها ليُمنع النزيف[١].

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٥٦، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٣٤.

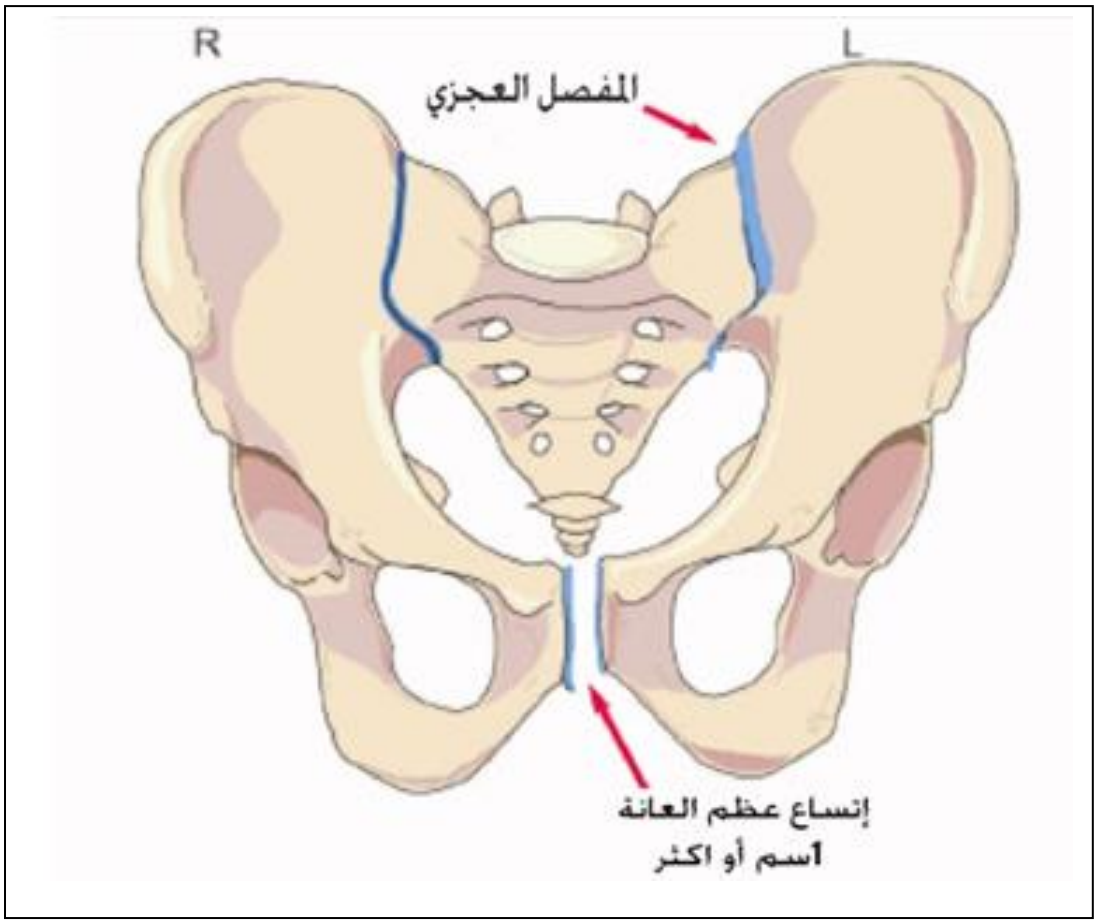
R
L
المفصل العجزي
إنساع عظم العانة
1سم أو اكثر

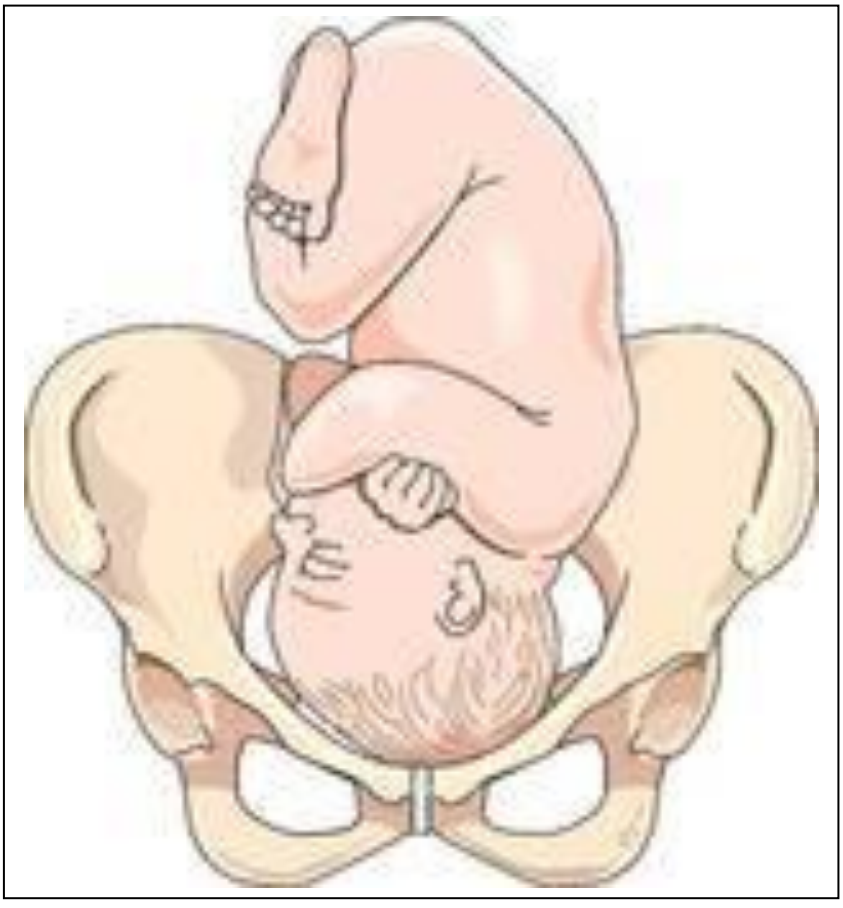

١- بعد الولادة يعود جسم المرأة إلى سابق عهده، ويعود الرحم خلال فترة النفاس أدراجه، ويصبح كما كان قبل الحمل صغير الحجم لا يتسع لأكثر من مليلترين، خفيف الوزن لا يزيد عن خمسين جراماً، ولا يبلغ طوله أكثر من ثلاث بوصات، ولا يخرج من وسط الحوض، بعد أن كان قد ملأ تجويف البطن من عظم القُص إلى العانة، وبعد أن هزّ كيان المرأة بأكمله[١].

٢- آلية (هندسة) المخاض:

يتغير وضع الجنين عند مروره عبر تجويف الحوض الذي له شكل غير منتظم، وهذه التغيرات التي تطرأ على الوضع العكسي، هي على سبيل المثال، النزول، والانثناء، والدوران الداخلي، والتمدد، واسترجاع الوضع الطبيعي، والدوران الخارجي، وتساهم العناصر المذكورة آنفاً -بسبل شتى- في تسهيل مرور الجنين عبر قناة الولادة، وصدق الله القائل: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٢].

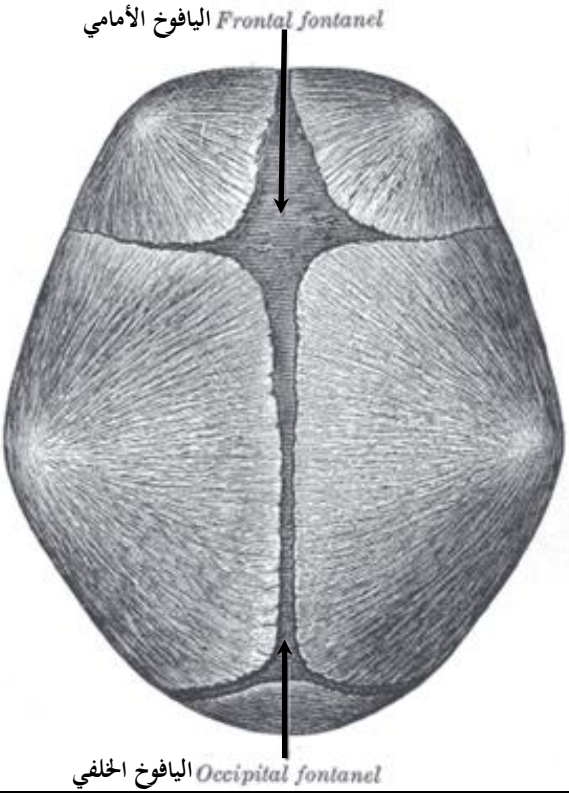

منظر علوي لجمجمة طفل حديث الولادة يوضح اليافوخين الأمامي والخلفي

٣- تصميم جمجمة الجنين:

وفي تركيب الجمجمة في مرحلة الطفولة آيات أخرى، فهي مركبة من اثنين وعشرين عظماً ذات حركة موضعية، وتصبح بعدها عديمة الحركة، وتكون المفاصل واضحة جداً في جمجمة الطفل، ولا تلتحم عظام الجمجمة

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، ص٨١.

(٢) علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، ص١٣١.

إلا بعد شهرين من مولد الطفل[١].

اليافوخ:

توجد في جمجمة الوليد أربعة يوافيخ (جمع يافوخ) وهي بقع لينة مغطاة بغشاء متين، تقع في جمجمة الاطفال الرضع، هذه اليوافيخ الأربعة هي:

اليافوخ الامامي.

اليافوخ الخلفي.

اليافوخ الخشائي (mastoid).

اليافوخ الوتدي (sphenoidal).

فاليافوخ الخلفي: ينغلق خلال الشهر الثالث بعد الولادة.

واليافوخ الأمامي: أكبر حجماً من اليافوخ الخلفي، معين الشكل، وينغلق في سن العامين.

وَلِتَحرُّك عظام الجمجمة وليونتها، وكذلك وجود اليوافيخ حِكَم عظيمة منها:

أن حجم جمجمة الجنين يكون أكبر من فتحة عظم حوض الأم التي يخرج منها الطفل عند الولادة، فمن آثار رحمة الله ولطفه أن تكون جمجمة الطفل لينة، وعظامها غير ملتحمة لكي يحصل تغيير في حجم الرأس وشكله، حيث تنضغط عظام الجمجمة وتتداخل فيما بينها[٢] أثناء الولادة فيصغر حجم الرأس، وبالتالي سهولة نزول رأس الجنين من خلال قناة الولادة، وخروجه من فتحة الحوض[٣].

---

(١) أنظر: علم الإيمان، الجزء الأول، صـ١٣٢.

(٢) خاصة عند اليافوخين الأمامي والخلفي، أنظر: فلم علمي بعنوان: معجزة خلق الإنسان- هارون يحي.

(٣) أنظر: علم الإيمان، الجزء الأول صـ١٣٢، وفلم: معجزة خلق الإنسان- هارون يحي، والموسوعة الحرة ويكيبيديا، على الرابط: http://ar.wikipedia.org/wiki/.

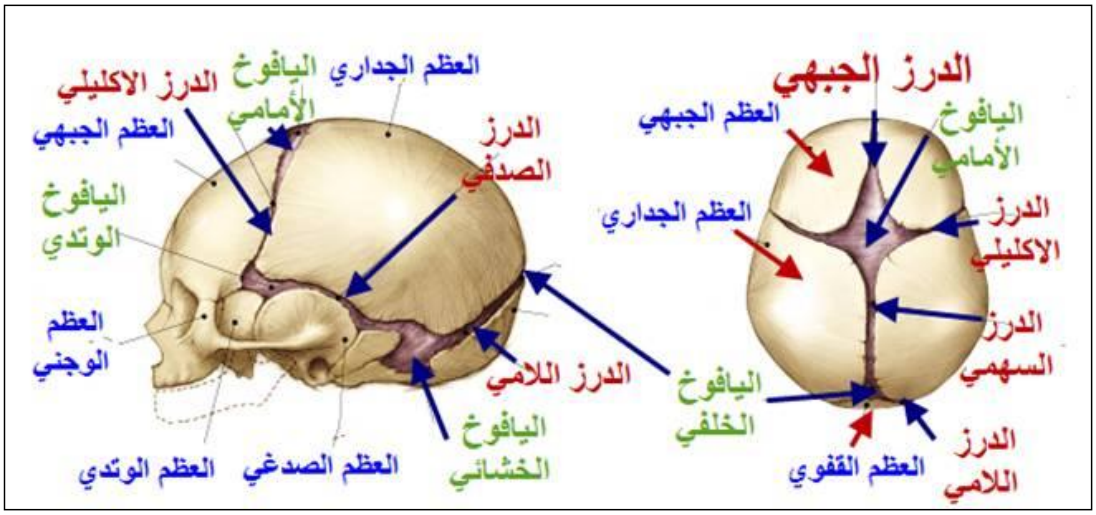

شكل يبين أن جمجمة الجنين أكبر من فتحة الحوض إلا أنه يحصل تغيير في حجم الرأس وشكله، حيث تنضغط عظام الجمجمة وتتداخل فيما بينها أثناء الولادة فيصغر حجم الرأس، وبالتالي سهولة نزوله من خلال قناة الولادة، وخروجه من فتحة الحوض.

٤- مراحل الولادة:

ويذكر الأطباء أن عملية الولادة تمر بثلاث مراحل متتابعة هي:

المرحلة الأولى: مرحلة المخاض:

يحدث خلال هذه المرحلة إمحاء عنق الرحم واتساعه، ودخول الجنين فيه[١]، وللعضلة الرافعة للشرج دور هام في هذه المرحلة إذ أن أليافها الخلفية تساهم في تمدد عنق الرحم لدخول رأس الجنين فيه[٢].

المرحلة الثانية: مرحلة الانقذاف:

حيث يخرج الجنين خلال القناة التناسلية، ولا تستغرق هذه المرحلة سوى زمن قصير جداً[٣]، وتساهم في ذلك كل من العضلات الرافعة للشرج والعضلات العصعصية في زيادة الضغط في تجويف الحوض والرحم بانقباضهما المتتالي مما يساعد مساعدة فعالة في إخراج الجنين وقذفه إلى الخارج[٤].

المرحلة الثالثة: مرحلة الخلاص:

تعتبر آخر مرحلة من مراحل الولادة، ويتم خلالها خروج المشيمة خارج الرحم[٥]، وتساهم العضلات المذكورة سابقاً في إخراج المشيمة وطردها من الرحم بعد خروج الوليد[٦].

وزمن رحمته سبحانه أن جعل هذه الانقباضات المتتالية والمتقطعة لا تزيد عن حدها حتى لا تؤدي إلى وفاة الجنين[٧].

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧.

(٢) أنظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٢.

(٣) انظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧.

(٤) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٢.

(٥) انظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٧.

(٦) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٢.

(٧) أنظر: المرجع السابق، صـ٦٠.

جدار الرحم

(١)

المشيمة
المهبل

(٢)

جدار البطن الأمامي

(٣)

الحبل السري

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

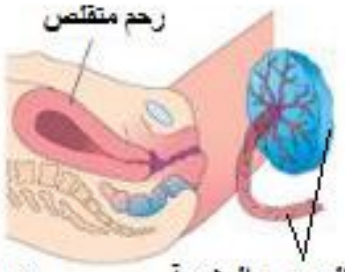
رحم متقلص
الحبل السري و المشيمة

(٨)

الولادة الطبيعية
الحوض العظمي

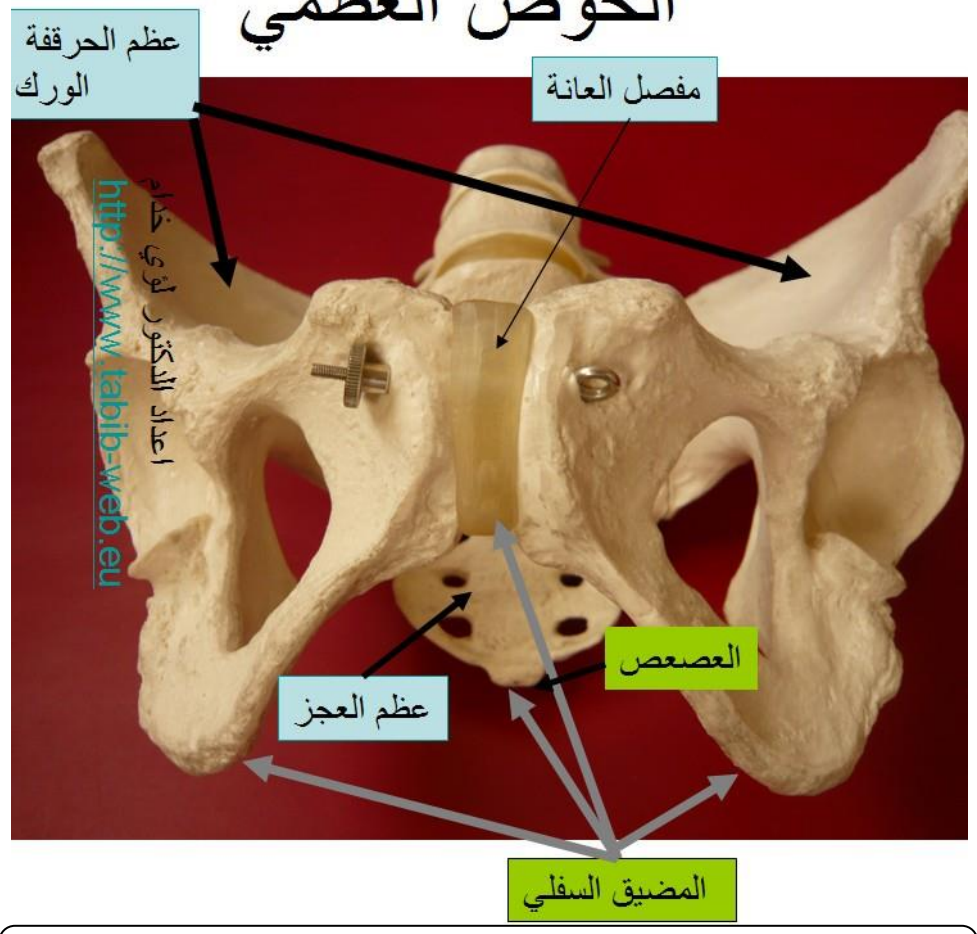

مجسم يبين حوض المرأة ويظهر في أسفله المضيق السفلي الذي يخرج منه الوليد

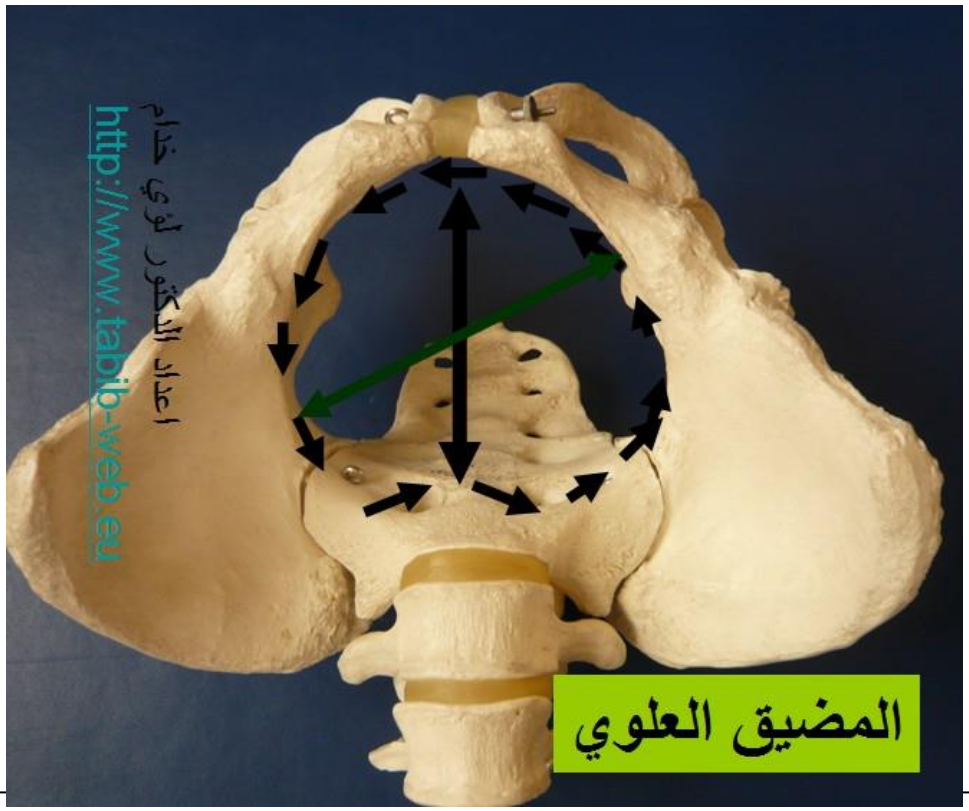

الحوض العظمى

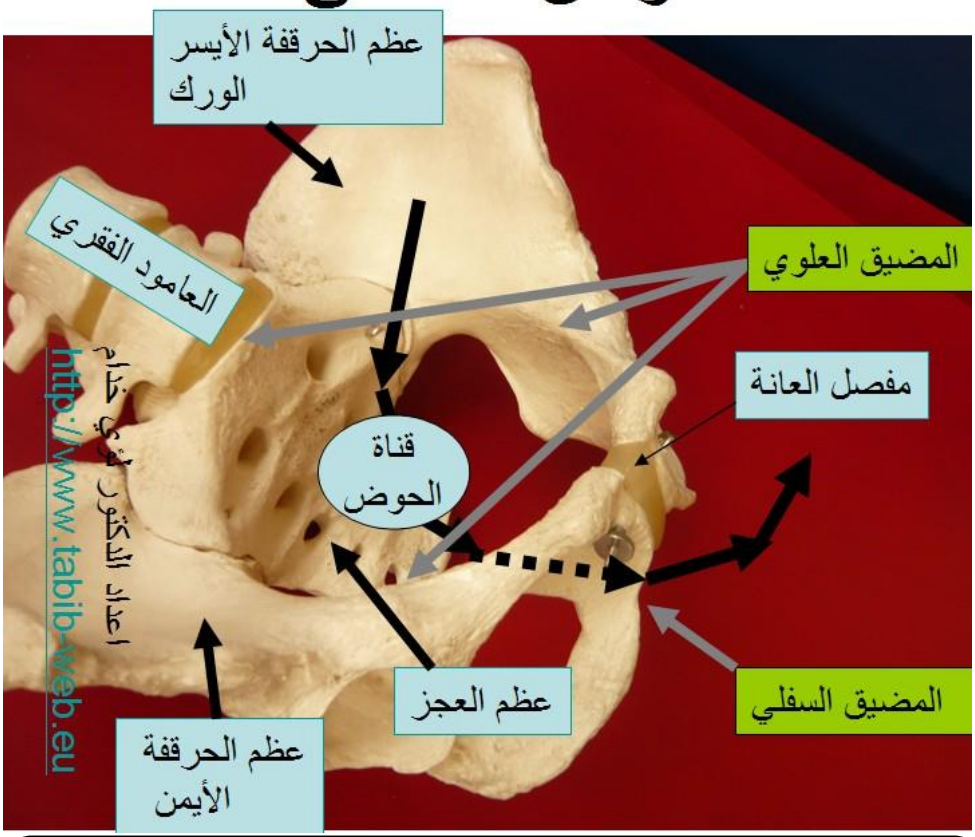

يظهر في المجسم المضيق العلوي والمضيق السفلي وتبين الأسهم المتتابعة باللون الأسود مسار خروج الجنين منهما

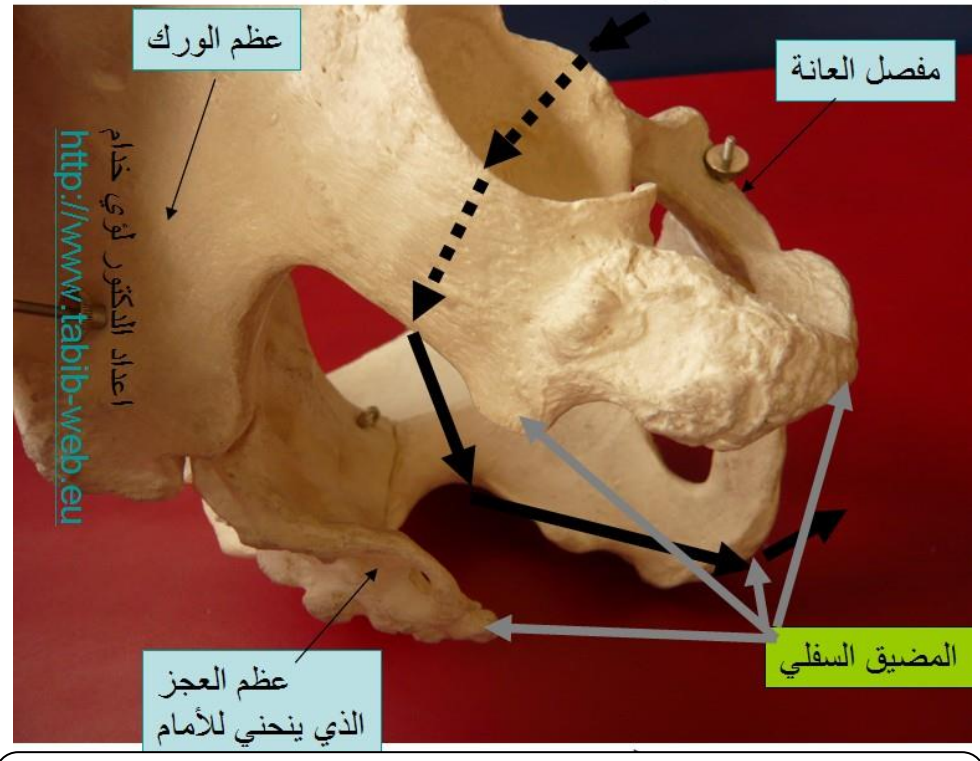

مسير الرأس في الحوض يتبع تقوس العجز حيث يدخل في المضيق العلوي وينحني مع العجز ليخرج من المضيق السفلي

بهذه الوضعية يكون قطر رأس الجنين أصغر ما يمكن لخروجه من الحوض

اعداد الدكتور لؤي خدام
تتوضع القمة تحت العانة
ينحني الرأس ليرسم بطريقه انحناء عظم العجز

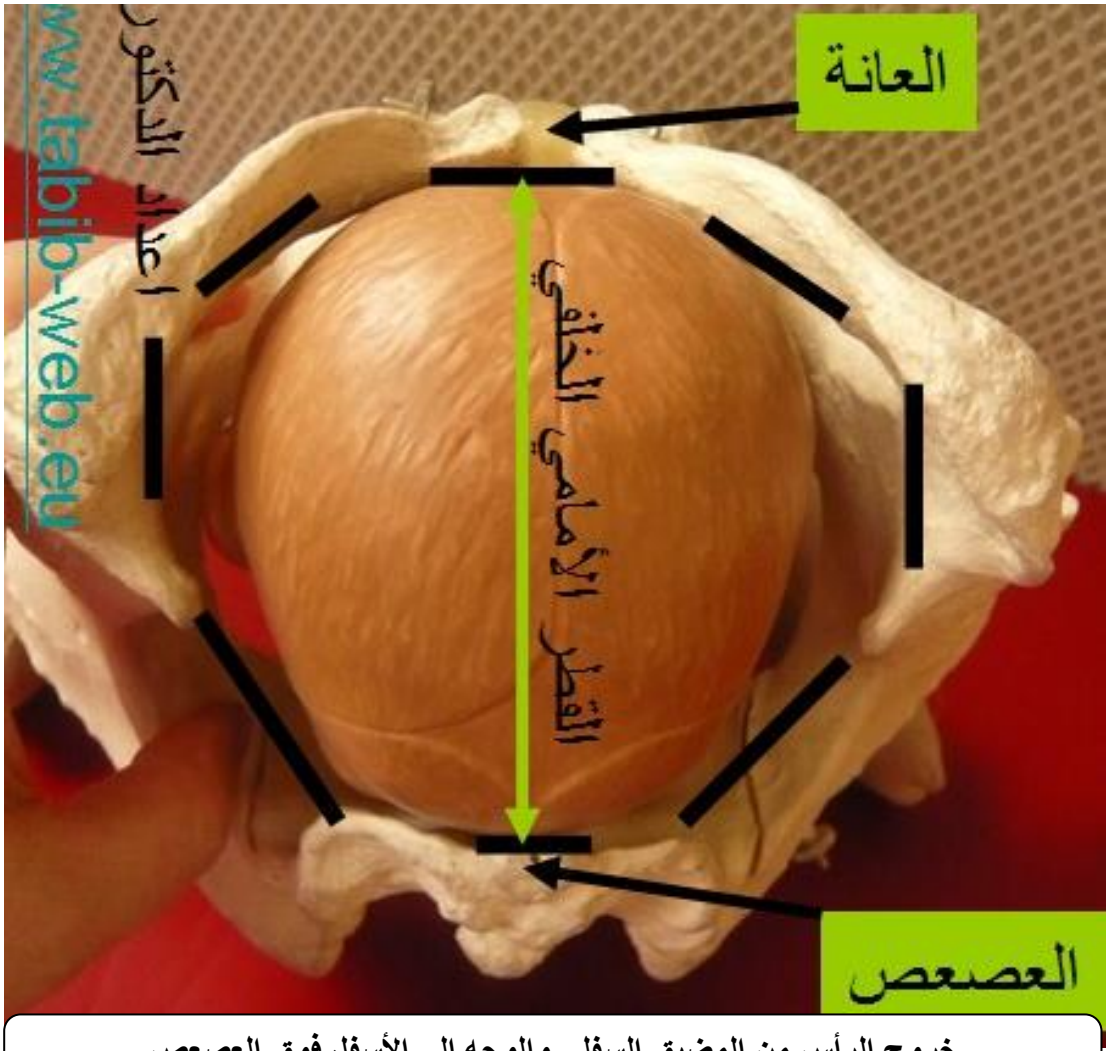

خروج الرأس من المضيق السفلي والوجه إلى الأسفل فوق العصعص

مراحل تقدم الرأس ضمن الحوض
بشكل قوس يرسم انحناء العجز
تتوضع القمة تحت العانة
ينحني الرأس ليرسم بطريقه انحناء
عظم العجز
اعداد الدكتور لؤي خداج
http://www.tabib-web.eu

٥- الصرخة الأولى.. وعمل الرئتين:

عند الولادة ينفصل الجنين عن المشيمة مصدره ومورده الرئيس، ليصبح كينونة بذاته، يتحمل كامل المسؤولية، فيتم تغيير مسار الدم داخل جسم الجنين، ليمر عبر الرئتين، المركز الرئيسي لأكسجين الدم، بعدما كان يمر عبر المشيمة، فيستقل الجنين بدمه وهوائه، كما أن انفصال المشيمة يؤدي إلى نقص الأكسجين في دم الجنين، وزيادة ثاني أكسيد الكربون، الأمر الذي يؤدي إلى تحفيز مراكز التنفس في الدماغ الذي يقوم بدوره بإصدار أوامره إلى الجهاز التنفسي ليبدأ العمل من خلال انفتاح الرئتين ليدخلهما الهواء في دفعة قوية، يصرخ معها الجنين صرخته الأولى[١] معلناً أنه قد استلم مقاليد أمر جسده، وأنه أصبح مسيطراً على كل ما يخصه، وهو وَهْمٌ يعيش معه في معظم الأحيان طوال حياته[٢].

إن هذا التناسق الذي تتم به عملية الولادة لا يمكن أن يكون مجرد عملية ميكانيكية حدثت بصورة تلقائية نتيجة تغيرات فسيولوجية، إنما هي عملية مدبرة، أراد لها الخالق الحكيم أن تتم بهذه الصورة دون سواها فيسر لها كل تلك السنن[٣].

---

(١) هذا بالنسبة لآلية عطاسه أو صراخه، وأما السبب في بكائه فهو نخسة الشيطان التي جاء ذكرها في الحديث وسنذكرها لاحقاً ضمن كلام ابن القيم عن الجنين.

(٢) أنظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٨١، رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٣٤.

(٣) خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٨١، بتصرف.

المطلب الثالث:

التضحية عند الأم الحامل نوع من تيسير السبيل

ولا يعني فهمنا لهذا التيسير أن الأم لا تشعر بالتعب أو الألم، بل إنها تتحمل متاعب وليدها منذُ أن يقع نطفة في رحمها، وهذا من تيسير الله للجنين أن جعل في أمه كل هذا الصبر والتحمل حيث تتأثر بالحمل جميع أجهزة جسمها، فمثلاً:

١- الجهاز الهضمي:

يضطرب الجهاز الهضمي أثناء الحمل اضطراباً شديداً، فالبداية بالوحام وما يرافقه من شعور بالتعب والغثيان، وخاصة في الصباح وفي الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، وقد تصاب بعض الحوامل بسوء الهضم، والحرقان، أو اللذع، وتقل الشهية، وخاصة في فترات الحمل الأولى، وتصاب الحامل عادة بالإمساك، ولذا ينبغي عليها أن تكثر من الخضروات الطازجة واللبن (الحليب) والعسل، مع الرياضة الخفيفة التي تنبه الأمعاء.

وتتحسن حالة الجهاز الهضمي عموما في الشهر الرابع من الحمل، كما تتحسن الشهية للطعام[١].

ولا تكاد الأم الحامل تنسى هذه الأعراض حتى يبدأ تأثير ثقل الجنين على جسدها، لتبدأ أعراض ومتاعب أخرى[٢].

٢- القلب والجهاز الدوري:

يتحمل القلب أثناء الحمل أعباء إضافية تبلغ ضعف ما يتحمله في الحالات العادية، إذ يؤدي كبر حجم الرحم إلى الضغط على الوريد الأجوف السفلي، فيقل الدم الوارد خلاله إلى القلب ويقل نتيجة لذلك الدم الصادر عن القلب، فتشعر المرأة الحامل بالدوار والدوخة عند الاضطجاع -وإن كانت لا تصيب هذه الأعراض جميع الحوامل، إذ يتسع لدى أغلبهن أوردة جانبية تتجاوز منطقة التضيق في الوريد الأجوف السفلي- وعلى القلب أن يؤدي هذا العمل الإضافي دون كلل، فإن عليه أن يضخ

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٥-٤٤٦، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٩.

(٢) انظر: خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٩.

كمية مضاعفة من الدم تكفي للأم والجنين، ويبلغ ما يضخه القلب قبل الحمل في معدله (٦٥٠٠) لتر يومياً، أما أثناء الحمل وخاصة في الأشهر الأخيرة منه، فإن القلب يضخ (١٥٠٠٠) لتر يومياً.

ولكي يقوم القلب بضخ هذه الكمية الزائدة فإن عليه أن يسارع من نبضاته، كما أن عليه أن يقوي من ضرباته حتى يضخ في كل ضربة كمية أكبر من المعتاد ولذا يكبر حجم القلب قليلاً.

وتعاني الحامل عادة من فقر الدم نتيجة نقص عنصر الحديد في جسمها، لأن الجنين يأخذ ما يحتاج إليه من الحديد والعناصر الهامة لتكوين دمه من دم أمه، ولو أدى الأمر إلى أن يجعلها شاحبة هزيلة مصابة بفقر الدم(١).

٣- الجهاز التنفسي:

تشكو الحامل في العادة من ضيق في التنفس وخاصة في الأشهر الأخيرة من الحمل، وذلك لأن الرحم قد ملأ تجويف البطن وبدأ يضغط على الحجاب الحاجز، ويعوق حركته في التنفس، ولذا تشكو الحامل من ضيق النفس (النَسَم)، وخاصة عندما تستلقي على ظهرها ويرفع الحجاب الحاجز إلى أعلى مانعاً الرئتين من الحركة أثناء الشهيق والزفير، ويؤثر هرمون البروجسترون الذي يفرزه المبيض على مراكز التنفس بالدماغ فيزداد معدل التنفس وعمقه(٢).

٤- العظام والأسنان:

تصاب بعض الأمهات الحوامل بلين العظام أثناء الحمل وبعده، كما تصاب اسنانهن بالالتهابات المتكررة .. والسبب في ذلك أن الجنين يسحب من دم أمه وعظامها الكالسيوم والمواد الضرورية لبناء عظامة.. حتى ولو تركها هزيلة، هشة العظام، شاحبة الوجه، تعاني من لين العظام ومن فقر الدم(٣).

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٣-٤٤٦، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، ص٧٩، من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترآئب- السعدي، صـ١٥٤.

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٧، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٧٩.

(٣) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٧.

٥- الغدد الصماء:

تضطرب بعض وظائف الغدد الصماء في أثناء الحمل، مثل الغدة الدرقية التي تزداد حاجتها إلى اليود، وفي أغلب هذه الحالات تعود إلى طبيعتها بعد الولادة، وفي أثناء الحمل تكثر الهرمونات المتعلقة بالحمل مثل الاستروجين، والبروجسترون، وهرمونات المشيمة، وكلها لها تأثير على الجسم عامة، كما أن لها تأثيراً خاصاً على الرحم والجنين، وتختفي تلك الأعراض بعد الولادة[١].

٦- زيادة الوزن:

في أثناء الحمل الطبيعي يزداد وزن الأم عشرة كيلوجرامات (في المعدل)، سبعة منها للجنين والأغشية، وثلاثة منها زيادة فعلية في وزن الحامل، وفي هذه الأثناء يأخذ الجنين من أمه كل ما يحتاج إليه من غذاء وهواء، ومناعة، ويعطيها إفرازاته من المواد السامة لتطردها بدلاً منه إلى خارج الجسم، وذلك عن طريق المشيمة التي يعتمد عليها بصورة كاملة.

فالطفل يعتبر كالنبات الطفيلي الذي يستمد كل ما يحتاج إليه من الشجرة التي يتعلق بها، يعيش ويأخذ غذاءه من الأم مهما كانت حالتها أو ظروفها، حتى ولو تركها شبحاً، لأن المواد الغذائية كالأحماض الأمينية، والجلوكوز، وكذا الفيتامينات والأملاح، كالحديد، والكالسيوم، والفسفور، وغيرها، تنتقل من الأم إلى الجنين خلال المشيمة، والمعروف أن طلبات الجنين تلبى بصفة إلزامية حتى وإن كان هناك نقص في كل أو بعض هذه المواد الحيوية عند الأم.

وقد تصاب المرأة الحامل بتورم الساقين والقدمين نتيجة احتباس السوائل في الجسم[٢].

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٧.

(٢) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٨-٤٤٩، خلق الإنسان بين العلم والقرآن- الرقعي، صـ٨٠-٨١.

٧- الحالة النفسية:

لا تعاني الأم من كل هذه المصاعب الجسدية فحسب، ولكن حالتها النفسية تضطرب أيما اضطراب، فهي بين الخوف والرجاء، وبين الحزن والفرح، الخوف من الحمل ومصاعبه، والولادة ومتاعبها، والرجاء بالفرج والتيسير من الله تعالى.

وهي بين حالات القلق والكآبة تتأرجح تارة، وتارة تغمرها فرحة وسعادة بالمولود الجديد، فهي في فترة الحمل أكثر حساسية من أي فترة مضت، سريعة التأثر والانفعال، والميل إلى الهموم والأحزان لأتفه الأسباب، وذلك بسبب التغير الفسيولوجي في كل أجزاء الجسم، لذا يجب أن تحاط بجو من الحنان، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها، وخاصة من ناحية الزوج، أو الذين يعيشون ويتعاملون معها[١].

كل هذه التغيرات وأكثر منها تحصل في الحمل الطبيعي، ولقد أخبرنا القرآن الكريم بما تقاسيه الأم أثناء الحمل من متاعب في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾[٢].

٨- آلام الطلق:

وأما آلام الطلق فربما فاقت أي ألم آخر .. ولكن لا تكاد المرأة تنتهي من ولادة حتى تستعد لولادة أخرى.. ولا يكاد الطفل يخرج إلى الدنيا ويلامس جسمه جسمها حتى يفتر ثغرها عن ابتسامة متعبة[٣].

فالمشقة ترافق أمه في حملها وولادتها كما قال سبحانه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾[٤].

فلفظة ﴿كُرْهاً﴾ توحي بشدة التعب، وأن الأم تتعب في الحمل أيما تعب، ويستمر هذا التعب في فترة الحمل حتى الوضع فتضعه في تعب شديد أيضاً، لقوله: ﴿حَمَلَتْهُ﴾ ولقوله: ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ أي: أن النصب والمشقة في الحمل والوضع أيضاً وما بعد

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٤٩.

(٢) [لقمان:١٤].

(٣)خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٥٥.

(٤) [الأحقاف:١٥].

الوضع، وفي تكرار اللفظة: ﴿كُرْهاً﴾ جلاء للموقف، وتوضيح للمعنى، وبيان للحال التي تكون عليها الأم الحامل والأم المرضع كذلك[١].

(١) أنظر: الإعجاز الطبي في القرآن- الدكتور السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط:٢٠٠٠م، ص٧١.

المطلب الثالث:

تيسير السبيل بعد الولادة

(تدابير للحياة خارج الرحم)

زود الخالق جل وعلا هذا المولود بكل التدابير اللازمة لبقائه ونموه ومن هذه التدابير:

١- المناعة:

يخرج الجنين وقد تسلح بالكرينات المناعية (IgG) من الأم، ليواجه بها الجراثيم التي تعيش حوله إلى أن يتمكن من تصنيع كرينيات المناعة الخاصة به في الشهور الثلاثة الأولى[١].

٢- طاقة التدفئة:

وحتى يتكيف المولود مع فارق درجة الحرارة بين داخل الرحم وخارجه نجد أن طبقة كافية من الدهن تصل إلى (١٦%) من وزن الجنين مع بداية الشهر التاسع تتكون تحت الجلد، وهذا الدّهن هو من الدهن الأبيض ويستعمل كاحتياطي طاقة للتدفئة[٢].

٣- أول غذاء.. وأفضل غذاء:

كما دبرت العناية الإلهية كل الأسباب من أجل غذاء الجنين وبقائه سليماً صحيحاً، وذلك بما يحتويه لبن الأم من عناصر الغذاء وعوامل المناعة الطبيعية، حيث يفرز الثدي في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلاً أبيض مائلاً إلى الاصفرار، يسمى الكوليسترم(Colostrum)، ومن عجيب صنع الله أن هذا السائل عبارة عن مواد كيميائية ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض، حيث يحتوي على كمية هائلة من الأجسام المضادة القاتلة والمذيبة للميكروبات والجراثيم وهي تفوق آلاف المرات تركيزها في لبن الأبقار والماعز.

---

(١) رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٣٤.

(٢) المرجع السابق، صـ١٣٤.

ويحتوي على كمية كبيرة من البروتينات ذات القيمة الغذائية العالية وعلى المعادن التي يحتاجها الرضيع في ذلك الوقت[١].

ولبن الأم في تبدل مستمر، بحسب حاجات الرضيع، ومتطلباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه، وهو آمن طرق التغذية، من حيث الطهارة والتعقيم، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة في الصيف، دافئ في الشتاء، وهو سهل الهضم لا تتجاوز فترة هضمة الساعة والنصف، بينما تزيد فترة هضم حليب القوارير على ثلاث ساعات، وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم بجدار الأمعاء، ومواد حامضية لقتل الجراثيم[٢].

ومن تدبير الخالق سبحانه أن يزداد مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يوماً بعد يوم بحسب زيادة وزن الطفل حتى يصل إلى حوالي لتر ونصف اللتر في اليوم بعد سنة من الولادة[٣].

وإن العطف والحنان الذي يتلقاه الطفل من أمه في أثناء الرضاعة يُكسبه رحمة في قلبه تنعكس على علاقاته بمن حوله في مستقبل أيامه، وقد ألزمت حكومات أكثر الدول معامل حليب الأطفال أن تكتب على كل عبوة: (لا شيء يعدل حليب الأم)[٤].

٤- حنان الأبوين:

ولا يقتصر معنى تيسير السبيل على هذا وإنما يستمر ذلك التيسير بعد الولادة حيث يسر للرضيع عطف الوالدين واهتمامهم، ثم يستمر التيسير لسبل المعاش من

---

(١) بتصرف من: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد، صـ١٣٤، موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٧٤.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٨١-١٨٤، باختصار وتصرف، وانظر: موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٧٤.

(٣) انظر: موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن، صـ١٧٤.

(٤) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان- النابلسي، صـ١٨١-١٨٤، باختصار وتصرف.

لحظة الولادة إلى لحظة الممات فلله الحمد على هذه النعم والآلاء التي لا تحصى ولا تعد[١].

٥- ويستمر التيسير:

ويظل التيسير من الله تعالى طوال حياة هذا المولود، فبعد أن كان الجنين يعتمد اعتماداً كلياً على المشيمة في كسب غذائه، وإخراج فضلات جسمه، عن طريق الحبل السري، الذي يقطع عنه بعد الولادة مباشرة؛ يفتح الله له أبواباً أخرى من الرزق منها ثديي أمه، ثم ما يلبث أن تظهر له الأسنان ليستغني عن الرضاعة بالتدريج، فإذا ما أصبح شاباً قوياً استطاع بأمر الله تعالى الاعتماد على كسب رزقه بنفسه، ولعل هذا من معاني التيسير الذي تشمله الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾.

وصدق القائل:

تداركتنا باللطف في ظلمة الحشا *** وخير كفيلٍ في الحشا قد كفلتنا
وأسكنتَ قلب الأمهات تعطفا *** علينا وفي الثديين أجريت قوْتَنا
وجعلتَ بطون الأمهات مهادنا *** ودبرتنا في ضعفنا ورزقتنا
وأنشأتَنا طفلا وباللطف ألْسُناً *** تترجم بالإقرار أنك ربُّنا
وعرفتنا إياك فالحمد دائماً *** لوجهك إذ ألهمتنا منك رشدنا[٢].

---

(١) أنظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٦٠.

(٢) شعر علي وفا، انظر: شبكة روض الرياحين، على الرابط: http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=23779 .

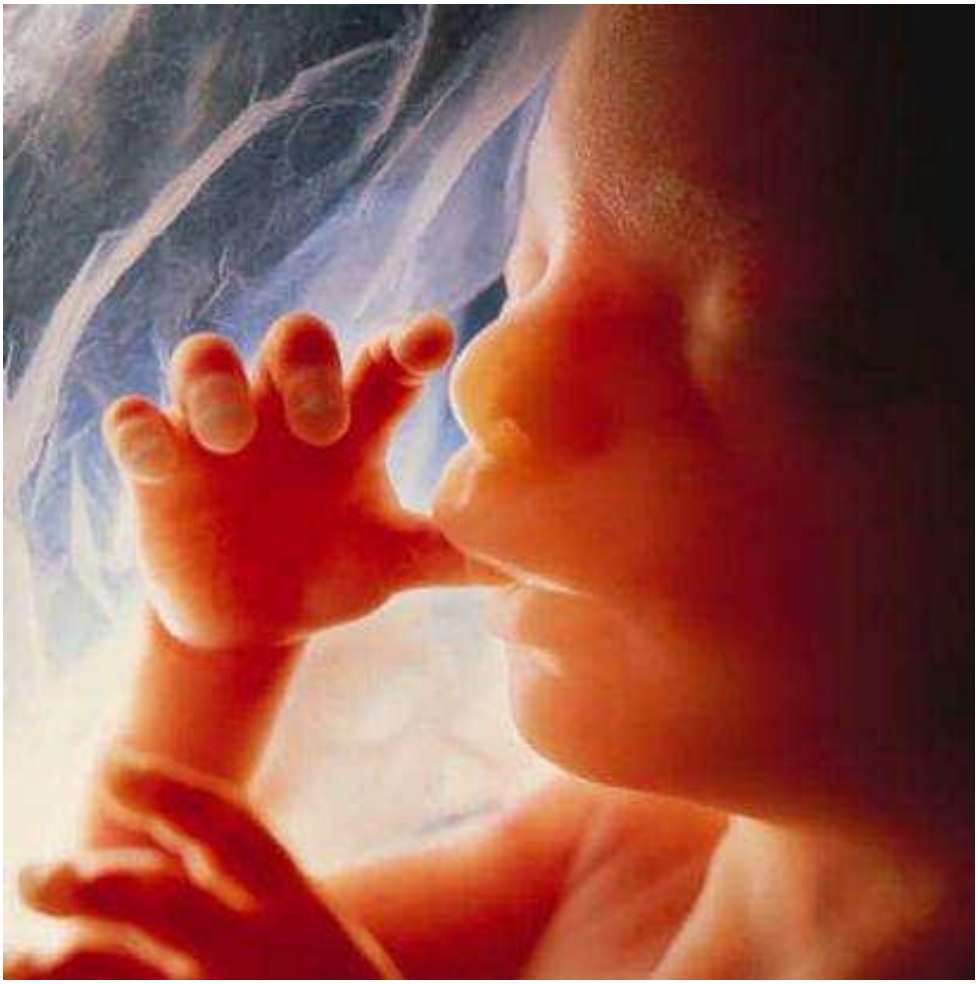

وكأنه يتدرب على الرضاعة قبل خروجه من الرحم

المبحث الثالث:

وَقَفَاتٌ.. وَتَأَمُّلَات في ظِلال الآيات

الوقفة الأولى: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!.

الوقفة الثانية: وصف الإمام ابن القيم للجنين.

الوقفة الثالثة: الرطب وتسهيل الولادة.

الوقفة الرابعة: كيف تكفر أيها الإنسان؟!.

الوقفة الخامسة: الجندر .. ودعوى الرجُل الحامل.

تمهيد:

من خلال المعايشة لهذه السنن الحكيمة، والآلاء الجسيمة، والآيات العظيمة، الدالة على عظمة الله تعالى.. وحكمته.. وقدرته.. ورحمته.. ولطفه بعباده.. يحسن بالباحث أو القارئ أن يقف بعض الوقفات في ظلال هذه الآيات، للتأمل والتدبر، ومعرفة ما يرتبط بها من سنن، وما تشير إليه من دلائل، ليستشف منها بعض الدروس، والمواعظ، والمواقف التي تكون له زاداً في طريقه، كمحطة لزيادة اليقين في قلبه، وشحذ همته لشكر ربه وخالقه المتفضل عليه بنعمه التي لاتعد ولا تحصى، علها تضيء له الطريق القويم الذي أمره ربه بسلوكه، وهو ما جاءت به الشريعة السماوية، وأيدته الفطر السليمة، ولم تزغ عنه إلا النفوس المريضة، والفطر المنكوسة،،

الوقفة الأولى:

هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان؟!

اذا كان كل ما علمناه من تغيرات في جسم الأم الحامل يعد جزءاً بسيطاً من التضحيات العظيمة التي تبذلها الأم لوليدها، «أفلا تكون بعد ذلك كله جديرة بالرعاية والإجلال والتكريم، وهي التي تعطي جنينها كل ما يحتاجه ولو جعلها هزيلة شاحبة تعاني من فقر الدم ولين العظام، وتسوس الأسنان، وهبوط القلب، وهي التي تمنع عنه كل أذى، ولا تسمح للميكروبات بالدخول إليه بواسطة ذلك الحاجز المنيع المسمى المشيمة، ثم هي بعد ذلك تعطيه الغذاء مهضوماً جاهزاً وتعطيه الأوكسجين، وتأخذ منه السموم مثل البولينا وثاني أوكسيد الكربون، تأخذ منه راضية فرحة لتطردها بدلاً عنه، وتعطيه كذلك مواد المناعة حتى إذا خرج إلى الدنيا خرج اليها بجهاز يستطيع أن يقاوم الأمراض والميكروبات المحيطة به»[(١)].

ولولا هذه السنن التي جعلها الخالق سبباً في تيسير خروج الجنين، لما استطاعت أنثى أن تلد أبداً.

وتستمر الأم في رعايتها لوليدها، من رضاعة.. وعناية.. وإصلاح لشؤونه.. ويرافق كل ذلك الجهد الشعور بالمتعة والرضا والحنان.

أفلا تستحق بعد هذا الطاعة والشكر، بعد شكر الله تعالى القائل: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[(٢)].

بل جعل الله عز وجل الإحسان إلى الوالدين مقروناً بعبادته فقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[(٣)].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٢) [لقمان:١٤].

(٣) [الإسراء:٢٣].

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: **يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "ثم أمك" قال: ثم من؟ قال: "ثم أمك" قال: ثم من؟ قال: "ثم أبوك"**[(١)].

وعن معاوية بن جاهمة السلمي قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، **قال: "ويحك أحَيةٌ أمك؟" قلت: نعم، قال: "ارجع فبرها"، ثم أتيته من الجانب الآخر فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: "ويحك أحية أمك؟"، قلت نعم يا رسول الله، قال: "فارجع إليها فبرها"، ثم أتيته من أمامه فقلت يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: "ويحك أحية أمك؟"، قلت: نعم يا رسول الله، قال: "ويحك الزم رجلها، فثم الجنة"**[(٢)].

وعن أبي بردة، أنه شهد ابن عمر، ورجلٌ يمانيٌ يطوف بالبيت -حمل أمه وراء ظهره- يقول:

« إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلْ إِنْ أُذعِرَتْ رِكَابُهَا[(٣)] لَمْ أُذْعَرْ»،

ثم قال: «يا ابن عمر! أتراني جزيتها؟ قال: «لا.. ولا بزَفْرة واحدة»[(٤)].

والزفرة: المرة من الزفير وهو تردد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهو ما يعرض للمرأة عند الوضع.

---

(١) أخرجه البخاري، ٢/٨، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث رقم: ٥٩٧١. ومسلم، ١٩٧٤/٤، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم: ٢٥٤٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٢٩/٢، كتاب: الجهاد، باب: الرجل يغزو وله أَبَوَان، حديث رقم: ٢٧٨١، قال الألباني: «صحيح»، أنظر: صحيح ابن ماجه، ١٢٥/٢، حديث رقم: ٢٢٤١.

(٣) أي: بعيرها.

(٤) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري- مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط١: ١٤٢١هـ، ٦/١.

الوقفة الثانية:

وصف الإمام ابن القيم[1] للجنين:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن قيل: فكيف وضع الجنين في بطن أمه: قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً؟

قيل: هو معتمد بوجهه على رجليه، وبراحتيه على ركبتيه ورجلاه مضمومتان إلى قدميه، ووجهه إلى ظهر أمه، وهذا من العناية الإلهية أن أجلسه هذه الجلسة في المكان الضيق في الرحم على هذا الشكل، وأيضا فلو كان رأسه إلى أسفل لوقع ثقل الأعضاء الحسية على الأعضاء الشريفة، وأدى ذلك إلى تلفه؛ ولأنه عند محاولة الخروج إذا انقلب أعانته على الخروج، فإنه إذا خرج أول ما يخرج منه رأسه؛ لأن الرأس إذا خرج أولاً كان خروج سائر الأعضاء بعده سهلاً، ولو خرج على الباقي، وإن خرجت الرجل الواحدة أولاً انعاق عند الثانية، وإن خرجتا معاً انعاق عند اليدين، وإن خرجت الرجلان واليدان انعاق عند الرأس، فكان يلتوي إلى خلف، وتلتوي السرة إلى العنق فيتألم الرحم ويصعب الخروج ويؤدي إلى مرضه أو تلفه..»[2].

تعليق الأطباء على كلام ابن القيم:

هذا الوصف العجيب من الإمام ابن القيم لعملية الولادة أدهشت الأطباء المتخصصين في عصرنا، فها هو الطبيب المشهور الدكتور مُحَمَّد علي البار[3] ينقل كلام ابن

---

(١) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ، من تصانيفه: التبيان في أقسام القرآن، وغيره، توفي ٧٥١هـ، [انظر: معجم المحدثين، صـ٢٦٩، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد- برهان الدين إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٣٨٤/٢].

(٢) التبيان في أقسام القرآن- مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، صـ٢٢٠.

(٣) الدكتور مُحَمَّد علي البار طبيب سعودي، من مواليد مدينة عدن: ١٩٣٩/١٢/٢٩م، استشاري أمراض باطنية، مستشار قسم الطب الإسلامي، مركز الملك فهد للبحوث الطبية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، كتب مئات المقالات في الصحف والمجلات الصادرة في عدة دول عربية وأجنبية، وشارك في المجامع الفقهية، وله العديد من

القيم في كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن ثم يقول: «ولن تجد حتى في كتب فن الولادة أصدق وأدق وأبرع من هذه العبارة، فهي تمثل الولادة الطبيعية بنزول الرأس أولاً.. (وقبوة الرأس على الخصوص) .. ووجه الجنين على ظهر أمه، ثم يتعرض للولادات المختلفة من نزول المقعدة، أو الرجل، أو الرجلين، أو دوران الوجه إلى الأمام، أو التواء السرة، ويصف ذلك وصفاً دقيقاً بارعاً كأنه طبيب مولد، وليس فقيهاً عاش في القرن الثامن الهجري»[1].

المؤلفات، باللغتين العربية والانجليزية، وهو باحث في الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. [انظر: موقع شبكة الألوكة، الرابط: http://www.alukah.net/authors/view/sharia/558/].

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٤٥٥.

وضع الجنين كما وصفه
الإمام ابن القيم

ثم يجيب ابن القيم عن الإشكال القائم في تصور خروج الجنين من مكان أضيق من حجمه فيقول رحمه الله: «فإن قيل: فكيف يخرج من الرحم –مع ضيقه – ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة؟

قيل: هذا من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيئته فإن الرحم لابد أن ينفتح الانفتاح العظيم جداً، قال غير واحد من العقلاء: ولابد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة ثم تلتئم بسرعة أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء

وحذاقهم بذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلا بعناية إلهية وتدبير تعجز العقول عن إدراكه، وتقر للخلاق بكمال الربوبية والقدرة»[(١)].

ويظهر من كلام ابن القيم السابق أنهم كانوا يظنون قديماً أن مفاصل الحوض يعرض لها انفصال أثناء الولادة كي تتسع للجنين، ثم تلتئم سريعاً، لكن الأطباء يذكرون أن ما يحصل مجرد ارتخاء لمفاصل الحوض وتوسع يساعده عند مرور الجنين منه كما نقلت عنهم سابقاً.

ثم يتكلم ابن القيم عن السبب في بكاء الصبي حالة خروجه إلى هذه الدار، ويذكر سببين لذلك، سبب باطن لا يعرفه الأطباء ولكن قد أخبر به الصادق المصدوق، وهو ما جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **"ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان، إلا ابن مريم وأمه"** ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[(٢)] [(٣)].

وأما السبب الظاهر فهو مفارقته المألوف والعادة التي كان فيها إلى أمر غريب؛ لأنه ينتقل من جسم حار إلى هواء بارد، ومكان لم يألفه فيستوحش من مفارقته وطنه ومألفه.

ثم يذكر ابن القيم عن أرباب الإشارات أن بكاءه إرهاص بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والمخاوف وأنشدوا في ذلك:

ويبكي بها المولود حتى كأنه *** بكل الذي يلقاه فيها يهدد
وإلا فما يبكيه فيها وإنها *** لأوسع مما كان فيه وأرغـد

ونظير هذه الإشارة في قبض كفه عند خروجه إلى الدنيا وفي فتحها عند خروجه منها، وهو الإشارة إلى أنه خرج إليها مركباً على الحرص والطمع، وفارقها صفر اليدين منها، وأنشدوا في ذلك.

وفي قبض كف المرء عند ولادة *** دليل على الحرص الذي هو مالكه
وفي فتحها عند الممات إشارة *** إلى فرقة المـال الذي هو تاركـــه

---

(١) التبيان في أقسام القرآن- ابن القيم، ص٢٢١.

(٢) [آل عمران: ٣٦].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، ١٨٣٨/٤، حديث رقم: ٢٣٦٦.

ويذكر لأصحاب الإشارات أيضاً في بكاء الطفل وضحك من حوله: أن الأمر سيؤول ويصير إلى ما يبكي مَن حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته، وأنشد في ذلك:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً *** والناس حولك يضحكون سروراً

فاعمل لعلك أن تكون إذا بكوا *** في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

ونظير هذه الإشارة أيضا قولهم: إن المولود حين ينفصل يمد يده إلى فيه، إشارة إلى تعجيل نزوله عند القدوم عليه بأنه ضيف، ومن تمام إكرامه تعجيل قِراه؛ فأشار بلسان الحال إلى ترك التأخير، وربما مص إصبعه إشارة إلى نهاية فقره، وأنه بلغ منه إلى مص الأصابع، ومنه قول الناس لمن بلغ به الفقر غايته: فهو يمص أصابعه، وأنشدوا في ذلك:

ويهوى إلى فيه يمص بنانه *** يطالب بالتعجيل خوف التشاغل

ويعلمهم أني فقير وليس لي *** من القوت شيء غير مص الأنامل[1].

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن- ابن القيم، صـ٢٢١.

الوقفة الثالثة:

الرطب وتسهيل الولادة

قص علينا القرآن الكريم قصة السيدة مريم العذراء حين جاءها المخاض في قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً* فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً* فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾[1].

ذكر العلماء في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ أنه سبحانه أمرها بالهز إشارة إلى أن السعي في تحصيل الرزق في الجملة مطلوب، وهو لا ينافي التوكل، ولا شك أنه لو أراد أن يتساقط عليها الرطب من غير سبب لتساقط، ولكنه أمرها بالتسبب في إسقاطه بهز الجذع، وأجرى العادة بأن جعل للأرزاق والمعايش والأشياء أسبابا، وربط بين الأسباب ومسبباتها بما شاء بقدرته وحكمته[2].

ولله در القائل:

تَوَكَّل عَلَى الرّحمَن فِي الأَمرِ كُلِّهِ *** وَلَا تَرغَبَنْ فِي العَجْزِ يَوماً عَنِ الطَلَب
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَـــــالَ لِمَرْيَمَ *** وَهُزِّي إِلَيْكِ الْجِذْعَ يَسَّـــاقَطِ الرُّطَب
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزِّهِ *** جَنَتْهُ وَلَكِنْ كُلُّ رِزْقٍ لَهُ سَـــبَـــب[3].

---

(١) [مريم:٢٣-٢٧].

(٢) انظر: روح المعاني، ٨٥/١٦، أضواء البيان للشنقيطي، ٧٨/٢٠، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ٤١٧/٥،

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف- شهاب الدين مُحَمَّد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٩٨٦م، تحقيق: د. مفيد مُحَمَّد قميحة، ١٢٧/٢.

ومعنى ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾: الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه، وقطع قبل يبسه وجفافه[١]، أي: أنه أصبح طرياً لذيذاً نافعاً[٢].

والسري: هو النهر أمرها أن تشرب منه[٣].

قال الشنقيطي[٤]: «والذي يفهم من سياق القرآن: أن الله أنبت لها ذلك الرطب على سبيل خرق العادة، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة، ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك، سواء قلنا إن الجذع كان يابساً أو نخلة غير مثمرة، إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطباً جنياً، ووجه دلالة السياق على ذلك أن قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾، يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به، فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر، وإنبات الرطب، وكلام المولود تطمئن إليه نفسها، وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسياً منسياً لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر[٥]».

وإضافة إلى هذا المعنى الذي ذكره الشنقيطي رحمه الله فقد ذكر هو وذكر غيره حِكَماً أخرى لأكل الرطب وشرب الماء، كما نقل بعض المفسرين عن الربيع بن خيثم وغيره: ما للنفساء خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل[٦]، ولو كان شيء أحسن للنفساء من الرطب لأطعمه الله مريم وقت نفاسها بعيسى[٧].

---

(١) انظر: لباب التأويل للخازن، ٢٤٤/٤، تفسير السراج المنير، ٣٣٤/٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي، صـ: ٤٩١.

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي، ٧٤/٢٠.

(٤) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر، مدرس، من علماء شنقيط، موريتانيا، ولد سنة ١٣٢٥هـ، وتعلم بها، وحج عام ١٣٦٧هـ، واستقر مدرِّساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الاسلامية بالمدينة، من كتبه: أضواء البيان في تفسير القرآن، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، وآداب البحث والمناظرة، توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ. [الأعلام للزركلي ٤٥/٦].

(٥) المرجع السابق، ٧٥/٢٠.

(٦) انظر: جامع البيان للطبري، ١٧٩/١٨، لباب التأويل للخازن، ٢٤٤/٤، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٤٩/١٣، تفسير السراج المنير، ٣٣٤/٢، أضواء البيان للشنقيطي، ٧٥/٢٠.

(٧) أضواء البيان للشنقيطي، ٧٥/٢٠.

قال صاحب اللباب: «وقال بعضُ العلماءِ: أكْلُ الرُّطبِ والثَّمرةِ للمرأةِ الَّتي ضربها الطَّلق يُسَهِّل عليها الولادة[1]».

وقيل في قوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾، أنه قدّم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشدّ من احتياجها إلى شرب الماء، لكثرة ما سال منها من الدم[2].

فوائد الرطب عند المخاض في ضوء المعطيات العلمية:

وفي هذه القصة نقف مع عدد من الفوائد الطبية:

١- أظهرت الاكتشافات الحديثة أن للرطب خاصة فوائد عديدة في حالة المخاض منها: أن الرطب تحتوي على مادة مقبضة للرحم؛ مما يساعد على إتمام الولادة، ومنع النزيف فيكون دم النفاس قليلاً، ذلك أن الجنين إذا نزل وتبعته المشيمة تقطعت الأوعية الدموية المتصلة بالأم فجعل الخالق سبحانه الرحم ينقبض انقباضاً شديداً، حتى يصبح قوامه قاسياً، وهو علامة تطمئن لها القابلة وتعرف أن الولادة صحيحة، وبهذا الانكماش الشديد تغلق كل الشرايين المفتوحة وينقطع النزيف.

٢- يساعد الرطب مساعدة قوية على تسهيل الولادة وعلى منع المضاعفات بعدها، من نزيف قد يؤدي للموت ومن حمى النفاس.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٤٩/١٣.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٥٠/١٣، تفسير السراج المنير، ٣٣٤/٢،

٣- يحوي الرطب أنواعاً من السكر مثل الفركتوز والجلوكوز والمعادن والبروتين فيعطي طاقة كبيرة عند المخاض، وبصورة جاهزة لا تحتاج إلى وقت لهضمها، ذلك أن الطلق عملية مجهدة وشاقة، فالقلب تزداد ضرباته من ثمانين أو مائة ضربة في الدقيقة، إلى مئة وثمانين ضربة في الدقيقة، ليواجه هذه التقلصات العنيفة، وهو بهذا يحتاج إلى غذاء، وكذلك الحركات العضلية تحتاج إلى غذاء، ويعد التمر أسهل مادة للهضم، ولتحوله من غذاء إلى طاقة لا يستغرق أكثر من عشر دقائق عند انتقاله من الفم إلى الدم مباشرة.

٤- في الرطب مواد مسهلة وملينة تنظف الأمعاء وتعين على انزلاق بقايا الطعام منها، وخاصة الأمعاء الغليظة، وهذا مما يسهل عملية الولادة، لأن امتلاء الأمعاء يعيق عملية خروج الجنين من الرحم.

٥- تحتاج المرأة في حالة المخاض أيضاً إلى السوائل ولذا قال سبحانه ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ فأمرها بالشرب من الماء الجاري تحتها لحاجة الجسم إلى السوائل أثناء بذل مجهود شاق مثل الولادة، ولكون الماء مذيباً للمواد الموجودة في الرطب، فيسهل امتصاصها من الأمعاء الدقيقة، فالتمر مركز تركيزاً شديداً، وهو يحتاج إلى سائل يذوب فيه، كي يسهل الامتصاص، وهكذا قوام المادة الحلوة وبنيتها الوظيفية، لأن الحلو يحتاج إلى تمديد وإلى أن ينحلَّ في سائل كي يسهل هضمه، ولذلك قال لها المولى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾[1].

٦- تحتاج المرأة قبل المخاض إلى طعام فيه أربعة أشياء:

- مواد تعين على انقباض الرحم.
- مواد تمنع النزيف.
- مواد تنظف الأمعاء وتلينها.
- مواد تغذي بأقصر وقت وأيسر سبيل.

---

(١) هذه الفوائد الطبية مأخوذة باختصار وتصرف من: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار صـ٤٥٢، ٤٥٣، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق- الاستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، صـ٢٥٧- ٢٥٩، دار المكتبي، سورية-دمشق، الطبعة الرابعة: ١٤٣١هـ- ٢٠١٢م.

- وكل هذا موجود في الرطب.

٧- أمرها بقوله: ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ فتأثير الحالة النفسية على الولادة بالغ الأهمية، إذ أن الخوف والقلق من أهم أسباب تعسر الولادة، والرضا والاطمئنان من أهم أسباب تيسر الولادة، فالحالة النفسية للمرأة قبيل الولادة لها علاقة وشيجة بتيسير الولادة، فإذا كانت المرأة مطمئنة، قريرة العين، هادئة البال، ليس ثمة مشكلة في البيت، زوجها يكرمها قبيل الولادة، فإن حالتها النفسية المريحة، وطمأنينتها، وقرة عينها، عامل أساسي في سهولة ولادتها.

ولقد فعلت مريم العذراء ما أخبرها به المَلَك فكانت ولادتها ميسرة وكان نفاسها قصيراً ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ بعد سويعات من ولادتها لا تحس ألماً ولا تشتكي وجعاً ولا وهناً[١].

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار صـ٤٥٢، ٤٥٣، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق- للنابلسي، صـ٢٥٧- ٢٥٩.

الوقفة الرابعة:

كيف تكفر أيها الإنسان؟!

هل سألت نفسك أين كنت قبل ولادتك؟!، وكيف تكونت؟!، ومِمَّ تكونت؟!، وغيرها من تلك الأسئلة؟!.

هل تعرف كيف بدأ خلقك؟!.

إن الجسم البشري يفرز إفرازات كثيرة منها العرق، ومنها الدمع، ومنها اللعاب، ومنها البول، ومنها اللبن، ومنها المخاط، ومنها ماء مهين، وهو إفراز ليس كغيره من الإفرازات فمنه تنبت الشعوب، والقبائل، والأجيال.

لقد كنت نصفين، نصف أفرزه أبوك، ونصف أفرزته أمك.

فكيف التقي النصفان؟ .. ذلك تقدير العزيز العليم.

ومن الذي أوجد المودة والرحمة بين الزوجين لتكون دافعاً للزواج؟!

ومن الذي أعد نصفك في أبيك، وهيأ له الظروف، وأمده بالحركة والغذاء؟!

ومن الذي سيره من موضع إلى موضع، ويسر له سبيل اللقاء بالنصف الآخر، وفتح أمامه الأبواب؟!.

ومن الذي جعل رحم أمك يتقلص ليساعد نصفك من أبيك على الحركة والانتقال إلى مكان اللقاء المقدر؟!.

ومن الذي نقل نصفك من أمك وهيأ له الغذاء والمكان؟ ومن الذي جمع النصفين في زمن محدد، وفي مكان محدد، وفي بيئة محددة معدة مهيأة، وفي فترة محددة من عمر أمك يمكنها فيها أن تحملك؛ ليعلن عن وجود مخلوق جديد ؟![1].

ومن قدر كل تلك الأقدار لإيجاد مخلوق فَذٍّ هو أنت؟!.

مخلوق رُتبت أموره ترتيباً، وقدرت أوصافه وأحواله تقديراً .

تقدير في الزمان، والمكان، والهيئة، والظروف..

وتقدير للغدد، والهرمونات، والخصائص، والصفات، والسلوك، والقدرات، والأبناء، والأحفاد...

---

(١) بتصرف واختصار من علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة أنظر: صـ٥١-٥٤.

وتقدير للمستقبل وإخراج له من غيب الماضي إلى الحاضر.

ونقل الخصائص من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد..

إنها قدرة الخالق الحكيم العليم الذي أحاط بكل شيءٍ علماً، وقدر لكل عضو وظيفة ومهمة، ووفق بين الوظائف والمهام وكملها؟

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[1].

وكما كانت تلك البداية من نطفة بما تحوي من مورثات وصبغيات لا ترى بالعين المجردة قد انطلق منها الوجود الإنساني بشراً سوياً، فملأ الأرض سعياً وحضارات، فكذلك تكون النشأة الأخرى، والذي قدر على الخلق أول مرة، يقدر على المرة الأخرى وصدق الله القائل في وصف الإنسان الجاحد: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

أليست هذه هي الخصومة الحمقاء من نطفة تمنى، في مواجهة رب الأرض والسماء وخالق الحياة والأحياء.

لقد مر دهر على الأرض ما كانت لتشهد وجود هذا الإنسان.. فإذا به يصبح سيداً عليها، تدفع أجياله في الخروج إلى الأرض نطفاً أمشاجاً، وقد زودت بأدوات العلم (السمع.. البصر.. الفؤاد.. الخ) ليكن الإنسان مؤهلاً للهدى وحمل الأمانة، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[3].

ويتم الامتحان ويكتسب الإنسان ما شاء من الأعمال، ويزول كل شيء من الدنيا، وتبقى الإساءة والإحسان، وعليهما يكون الجزاء[4].

---

(١) [عبس:١٧-٢٠].

(٢) [يس:٧٧-٧٩].

(٣) [الإنسان:١-٢].

(٤) بتصرف واختصار من علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة أنظر: صـ٥١-٥٤.

فما أحراك بالسجود شكراً لله على جزيل نعمائه.. وعظيم مننه وآلائه[1]... وما أحراك أن تطيعه وتتبع أوامره، وتجتنب نواهيه، فاعترف بفضله ومنته عليك وقل:

لك الحمد يا رب والشكر ثم *** لك الحمد ما باح بالشكر فم
لك الحمد في كل مـــا حالة *** فقد خصني منك فضل وعـم
من المـــاء أنشأتني نطفـــــة *** ومن بعـد ذلك لحـــم ودم
وأسكنت في جســدي روحه *** وأجعلتها في طـــباق الرحـم
وأخرجتني بعـــد في عـــالمي *** وبلغتني درجـات الفـــــهـم
فمنك لي البصر المقـــتفـــي *** وسمع وذوق ونطـق وشـــــم
وحـــس صـحيح وتميز مـــا *** خلقت بأنواعـــــه من أمم
ومكنتني من فنـــون العلـــوم *** بادي الكلام وخـط القـــلم
فشـــتان بين الهدى والعمى *** وشتان نور الضـحى والعتم
فما جاء من عند رب الجميع *** على يد مرســـله قل نـعم
ولا تعـده واطرح غـــــيره *** وإن لام فيه أخ وابن عـــم
تفز بالحقيقة مستعجلـــــاً *** وتسلم إذا مت من كل غم[2].

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن- البار، صـ٦٠، بتصرف.

(٢) أبيات مختارة من قصيدة الفقيه الإمام أبو مُحَمَّد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي رحمه الله، أنظر: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)- إحسان عباس، صـ٣١٥، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٦٠م.

الوقفة الخامسة:

الجندر .. ودعوى الرجُل الحامل

والعجب كل العجب ممن يدّعون أنهم يريدون المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة حتى وصل بهم الأمر إلى إصدار قوانين تبيح للمرأة أن تتخلى عن أنوثتها، وتتحول إلى رجل بزراعة الأعضاء الذكورية، وبالمقابل تخلي الرجل عن أنوثته وتحوله إلى أنثى بزراعة الأعضاء الأنثوية.

يأتي هذا الكلام بعد أن طُرِحَت فكرة أن الرجل يمكن أن يَحمِل وَيَلِد.. طُرِحَت هذه الفكرة من قِبَل النساء المتطرفات اللواتي أسسن وحملن مثل هذه الأفكار الشاذة، مع الترويج لقصة الرجل الذي شوهد في الفضائيات بعد أن حمل وأنجب (وقد كان امرأة غيرت جنسها واحتفظت بالرحم) وتعتمد هذه الحركة النسوية على فكرة أن الأبحاث تجري من أجل استنساخ البشر، وإلى أن يتم النجاح في استنساخ كائن بشري، تقبل الحركات النسوية – مؤقتاً – بفكرة أن تحمل المرأة وتلد، بشرط أن يتشارك الرجل معها في رعاية المولود بالكامل، حتى إجازة رعاية المولود يقتسمانها معاً، بل تأتي وكيلات الأمم المتحدة من النساء والمنظمات النسوية المتطرفة والمجالس المعنية بالمرأة والطفل في كثير من الدول العربية والإسلامية، وتطرح بديلاً عن القوامة داخل الأسرة وهو (الشراكة والاحترام المتبادل) بحيث تتشارك المرأة مع الرجل تماماً في كل شيء: في الانفاق، في أخذ القرار وتحمل تبعاته، في الأعمال المنزلية، وبهذا يتدخل القانون ليلزم الزوج والزوجة بتطبيق نظرية (الجندر) فيصبح الرجل نسخة طبق الأصل من المرأة، وتصبح المرأة نسخة طبق الأصل من الرجل.

والبعد الآخر لنظرية (الجندر) يتعلق بإدماج الشذوذ والشواذ في المجتمع، بحيث يصبح من الطبيعي أن يتزوج الرجل بالرجل، وتتزوج المرأة بالمرأة، ويسعون جاهدين بكل الوسائل لجعل هذه الفكرة مقبولة لدى المجتمعات، بل إنَّ هذا في نظر الاتفاقيات الدولية الخاصة

بالمرأة والطفل كاتفاقية السيداو[١] مثلاً- يعد شكلاً آخر من أشكال الأسرة[٢].

وبعد أن تتبعت قصة ما يسمى بالرجل الحامل على بعض المواقع الالكترونية، وجدت أن القصة مبالغ فيها، بل هي على غير حقيقتها، فالقصة لفتاة يابانية تعيش في أمريكا، وعندما بلغ سنها ١٤ سنة أقامت علاقة مثلية مع امرأة أخرى (زواج مثلي)، ثم خضعت لجراحة تبديل الجنس واستئصال ثدييها، وحقنت بهرمونات الذكورة التي تظهرها بالشارب واللحية، ولكنها حرصت أن تحافظ على أعضائها التناسلية الأنثوية، مع أنها أصبحت عندهم رسمياً رجل، ثم حقنت بسائل منوي لتحمل وتلد، وأطلق عليها اسم (الرجل الحامل)، وهي الآن تعاني من مشاكل أسرية وتطالب بالانفصال عن زوجتها [مثيلتها]، إلا أنها لم تستطع أن تحصل على حكم من المحكمة في ذلك لكون زواجهما مثلياً، والقانون في ولايتهم لا يسمح لهم بذلك[٣].

فانظر إلى الترويج الإعلامي والضجة التي أحدثوها عن ما يسمى بالرجل الحامل وهو في الحقيقة (المرأة الحامل) المتحولة جنسياً.. المتزوجة مثلياً.. والمفتخرة بهذا الشذوذ، كما هو شأن الكثير منهم، سواء من الرجال المتحولين إلى نساء أم العكس.

---

(١) هي اتفاقية تزعم بأنها جاءت للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، أو سيداو اختصاراً (بالإنجليزية:CEDAW) وهي معاهدة دولية تم اعتمادها في ١٨ ديسمبر ١٩٧٩م، من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتوصف بأنها وثيقة حقوق دولية للنساء، ودخلت حيز التنفيذ في ١٩٨١م، وتعتبر الولايات المتحدة الدولة المتقدمة الوحيدة التي لم تصادق على اتفاقية السيداو، إضافة لثماني دول أخرى لم تنضم إليها بالأساس بينها إيران، والسودان، الصومال، وتونغا. [انظر: موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا].

(٢) أنظر: حقيقة المؤتمر الإقليمي حول إلزامية التعليم ودمج النوع الاجتماعي (الجندر) في المناهج، المنعقد في صنعاء ٤-٦ مارس ٢٠١٣م، وموقف العلماء منه، ضمن سلسلة إصدارات منظمة مسلمة، الإصدار(٤) ص٣,٤.

(٣) أنظر الخبر في جريدة الاتحاد الإماراتية، الثلاثاء ١٣/جمادي الآخرة، ١٤٣٤هـ - ٢٣ أبريل، ٢٠١٣م، وجريدة الدستور - تصدر عن الشركة الاردنية للصحافة والنشر، العدد رقم: (١٦٤٤٥)، السنة السابعة والاربعون- الثلاثاء ١٣/جمادي الآخرة، ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٣/نيسان، ٢٠١٣م.

إن العبث بخلق الله تعالى نوع من الانقياد للشيطان الذي حكى الله عنه: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[1]، وقد ذكر بعض المفسرين أن من معاني التغيير لخلق الله: التَّخَنُّث، وهو تَشَبُّه الذكر بالأنثى، وتَشَبُّه الأنْثَى بالذّكر[2].

وأما هؤلاء الذين قالوا أنهم يستطيعون أن يجعلوا الرجل الحقيقي -لا المتحول جنسياً- أن يحمل حملاً حقيقياً فإننا نخاطب عقولهم، أو عقول المتأثرين بأفكارهم، أو المندهشين من هذه الأبحاث التي تعبث بأجساد البشر، للتغرير على عقول الناس..

فيُقال لهم:

هل يستطيع الرجل أن يفرز هرمون الحمل - البروجسترون- الذي يهيئ الرحم للحمل، ويقوم بتيسير حركة مفاصل الحوض ليزداد اتساعاً؛ حتى يتسنى للرحم أن يكبر ويتضاعف حجمه ثلاثة آلاف مرة -وبشكل طبيعي- كما هو في المرأة.

وهل يوجد للرجل حويصلة جراف (الجسيم الأصفر) المنطلق من المبيض وهرمونه الهام الذي يفرزه ليجعل الرحم يستعد لاستقبال البويضة فيزيد من تروية الرحم بالدماء، ويزيد من سماكة بطانته من نصف مليمتر حتى تصل إلى خمسة أو ثمانية مليمترات كما يحدث أثناء استعداده للحمل عند المرأة.

وهل لحوض الرجل هذه القابلية للحمل، وهو متين لا يمكن لمفاصله أن تتزحزح عن مكانها كما هو الحال في حوض المرأة عندما يفرز هرمون البروجسترون الذي يوجه الحوض ويأمره بالاتساع.

وهل تفرز الغدة النخامية في الرجل هرمون الارتخاءRELAXIN الذي يُفرز في المرأة عند الولادة فيستجيب الحوض للارتخاء مباشرة؟؟!!.

وهل ستغيرون زاوية التقوس العاني في الرجل لتكون بنفس زاوية التقوس عند المرأة ٩٠ درجة؟؟!!.

---

(١) [النساء:١١٩].

(٢) أنظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٢٢٠/١١، مدارك التنزيل للنسفي، ٢٤٠/١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، ٢٧/٧.

وهل ستغيرون شكل مدخل الحوض عند الرجل ليكون مستديراً أو بيضاوياً كما هو عند المرأة بحيث يسهل خروج الطفل منه؟؟!!.

وهل يستطيع الرجل الحامل –كما تزعمون– أن يلد ولادة طبيعية أم أن ذلك سيتم بعملية قيصرية؟؟!!.

وهل تتوفر للرجل الأم –كما تدعون– نفس عاطفة الأمومة المتوفرة عند الأم، والتي تعد أساساً تبنى عليه هذه الرعاية طوال فترة الحمل؟؟!!.

وهل يوجد في الرجل هرمون (البرولاكتين) الذي يحفز الثدي لإنتاج الحليب، بمجرد رضاعة الطفل منه؟؟!!.

وهل يوجد في الرجل الغدد اللبنية التي تصنع حليب الطفل وتستخلصه من جسم أمه من بين فرث ودم، أم أنكم ستقدمون له حليباً صناعياً، وتحرمونه حقه في الرضاعة الطبيعية يا من تزعمون أنكم تراعون حقوق الطفولة؟؟!!.

وهل للرجل أثداء يرضع منها الطفل، تجعل الحليب دافئاً في الشتاء لطيف الحرارة في الصيف، كما هو الحال في المرأة، أم أنكم ستعبثون بجسده للوصل إلى هذا الغرض؟؟!!.

وهل سيتغير نوع الحليب ومواد تركيبه، من الفيتامينات والمعادن، والمضادات للأمراض والميكروبات، بين الحين والآخر ليتناسب مع حاجة الطفل يومياً كما هو في ثدي الأم؟؟!!.

وهل يعد هذا الرجل بالنسبة للطفل أماً أم أباً، فإن كان أباً فمن الأم، وإن كان أماً فمن الأب الذي يُنسب إليه؟؟!!.

وهل سيبذل الرجل نفس ما تبذله الأم من عاطفة، وحنان، ورعاية، وصبر داخل بيتها في رعاية وليدها؟؟!!.

وهل سيبقى المجتمع محافظاً على أهداف الزواج، وحِكَمه، والغاية منه، أم أن النسل سيبقى وظيفة الذكور دون الإناث؟؟!!.

وهل تخلي المرأة عن تربية أبناءها، وإجبارها على العمل خارج بيتها، وتحملها مسؤولية النفقة على أسرتها، يُعد إنصافاً لها ولأبنائها، أم عبئاً إضافياً فوق أعبائها.

وهل سيؤدي الرجل نفس الرسالة العظيمة التي تؤديها المرأة في بيتها، وتؤدي المرأة نفس الرسالة العظيمة التي يؤديها الرجل في مكتبه ومتجره ومعمله؟؟!!.

وهل ستمنعون الأمراض المستعصية والفتاكة التي تفتك بمجتمعاتكم الممتلئة بالفاحشة والشذوذ، كمرض الإيدز الذي حصد عشرات الملايين بسبب الإباحية التي تسمونها حرية؟؟!!.

وهل يستحق هذا الأمر مجرد التفكير، فضلاً عن القيام به وتسخير كل هذه الامكانات والأموال، والأوقات المهدورة، في سبيل الوصول إلى نسل بهذه الطريقة وقد كفاكم الله مؤنته، بِخَلقِهِ للناس يتزاوجون ويتناسلون بفطرتهم وطبيعتهم منذُ أن خلقهم وحتى قيام الساعة؟؟!!.

وهل قمتم بحل جميع مشاكل العالم ومعضلاته حتى تفكر عقولكم المنكوسة بمثل هذا العبث؟؟!!.

وهل ما تقومون به، أو تطمحون إليه، أو تسعون لتحقيقه، أو تحاولون تقنينه، يتناسب مع الفطر والعقول السليمة، أم أنه أمر ترفضه حتى البهائم التي تؤدي الحكمة من خلقها على أكمل وجه؟؟!!.

وأخيراً.. هل تعلمون أنكم بمحاولاتكم هذه واقعون بين أحد أمرين لا ثالث لهما:

فأما الأمر الأول:

فهو أن تقدموا للعالم مخلوقاً جديداً يجتمع فيه الشروط التالية:

أولاً: تتوفر فيه كل مواصفات الأنوثة المذكورة سابقاً وغيرها.

ثانياً: مضافاً إليها كل مواصفات الذكورة الموجودة في الرجل.

ثالثاً: يؤدي كل الأغراض التي تزعمونها (الجندر).

وأما الأمر الثاني: فهو أن تعبثوا بهذا المخلوق البشري الذي خلقه الله.

فإن كان الأمر الأول:

فأنتم تعلمون أنه يستحيل خلق ذبابة أو خلية حية واحدة.. وقد حاولتم مراراً وفشلتم[1].

---

(١) [البقرة: ١٤٠].

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وإن كان الأمر الثاني:

فأجيبوا عن هذه الاستفسارات:

أليس من حق أي صانع.. أو مخترع.. أو مكتشف.. أن يشترط حفظ حقوقه في صنعته أو اختراعه أو اكتشافه؟.

أوليس -الخالق جل وعلا- أولى بحفظ حقه في مخلوقاته وعدم العبث بها إلا بإذنه سبحانه؟

فمَن أَذِنَ لكم أن تعبثوا بمخلوق ليس لكم الحق أصلاً أن تعبثوا فيه -يامن تدعون صون الحقوق-؟

أوليس ما تقومون به غير مقبول شرعاً.. وعقلاً.. وعرفاً.. وأخلاقاً..؟.

إذاً.. لم يبقَ لكم إلا أن تتركوا المخلوقَ لِخَالِقِه فهو -سبحانه- الذي يأمره وينهاه، ويبين له ما ينفعه وما يضره، وهو أعلم وأرحم به من نفسه.

﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[2].

إننا لا نجد جواباً عن هذه التساؤلات سوى أنكم تعيشون في مجتمع اغترت فيه العقول القاصرة بعلومها المحدودة الضيقة، فانتكست فيه الفطرة، وتركت فيه الفضيلة، وعلت فيه الرذيلة، حتى جعلتم الستر في الرجل والعري والتفسخ في المرأة، ودخلتم في وحل من الفجور والضياع، ودوامة من الرذيلة والفاحشة، فأردتم سحب كل المجتمعات إلى هذه الدوامة ليتذوقوا وَبَال ماذقتم، وتغرونهم برفع شعار المساواة وحقوق المرأة، وتمكين حريتها،

---

(١) وذلك عندما حاولت روسيا في أبحاثها التي استمرت عشرين عاماً لخلق مادة الحياة في المختبر، على يد فريق من كبار الباحثين بقيادة (أوبارين)، الذي كلفه (استالين) أن يثبت علمياً بأن الحياة نشأت تلقائياً من المادة؛ ليدعم بذلك العقيدة الرسمية للدولة، وحاول الغرب بعدهم في أوروبا وباءت محاولاتهم جميعها بالفشل، وبعد موت استالين أعلن بعضهم بأن الحياة قد جاءت من كوكب آخر حسب زعمهم. [انظر: العِلمانيَّة- نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المعَاصِرَة (أصل الكتاب: رسالة دكتوراه)- د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة، صـ٣٤٢، وانظر محاولة العلماء لمحاكاة الذباب في بعض أجزاء جسمها وحركاتها على الرابط: http://samera-1968.yoo7.com/t2946-topic].

(٢) [البقرة: ١٤٠].

ورفض العنف ضدها، وأنتم في الحقيقة تريدون حرية الوصول إليها، والنيل من شرفها، وهتك عرضها، لتكون الصديقة في العمل، والعشيقة في المقهى، والممثلة في المسرح، والمروجة للبضاعة في المحل، والمضيفة للمسافرين في الطائرة، ولا أدل على ذلك من استخدامكم لها كسلعة متداولة في وقت شبابها، ثم رميها غير مأسوف عليها في دار المسنين والعجزة في آخر عمرها، وكأنها زجاجة فارغة يجب رميها بعد شرب محتواها.

ألم تعلموا أن الإسلام قد كرّم المرأة أُمَّاً.. وزوجةً.. وأختاً.. وبنتاً.. وجعلها كالجوهرة المصانة التي لا يشاهدها إلا صاحبُها، ولا يسمح للأيدي الملوثة، والأنفس الخبيثة أن تصل إليها..

فإن كانت أماً فلها حقُّ الطاعة والحب والتبجيل، وكلما تقدم بها السن زاد إكرامها وتوقيرها وإجلالها من قبل جميع أفراد أسرتها.

وإن كانت زوجة فلها الحق في مهرها، ونفقتها، واحترامها، ومراعاة أنوثتها، وتحمل تقصيرها، والوفاء بشروطها، وصيانة كرامتها، وعدم الاعتداء عليها، أو الإضرار بها.

وإن كانت أختاً فوجب لها حق احترامها، وعدم إيذائها، أو رميها في عرضها، أو التعرض لها في طريقها.

وإن كانت بنتاً فلها حق تربيتها، وتنشئتها، وتعليمها، وتبصيرها بأمور دينها، وعدم عضلها.

وأما أنتم فقد أردتموها كالسلعة الرخيصة.. المبتذلة.. المتوفرة في كل مكان، لا قيمة لها.. ولا وظيفة تقدمها.. سوى المتعة الآنية التي تنالونها منها، ثم تذهب وشأنها لتبحث عن وسيلة لكسب رزقها، وربما لا تجد عندكم إلا عملاً شاقاً لا يتناسب مع فطرتها وأنوثتها وتركيبها، ولكن هذا واقعها في مجتمعاتكم التي فقدت فيها المرأة إنسانيتها.

والعجب كل العجب من كل ناعق في مجتمعاتنا الإسلامية، ينعِق كلما سمع شيئاً قادماً من تلك المجتمعات الغربية، وأقصد بكلامي أولئك الذين أصبحوا أدوات تحركها أيدي الغرب لتنفيذ مخططاتهم في هدم عقيدتنا، وتجريدنا من أخلاقنا، باسم الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ويقيمون المؤامرات باسم المؤتمرات، ولو كانوا صادقين في ادعائهم إنقاذ المرأة لأنفقوا تلك المليارات من الدولارات في سد حاجة تلك المرأة العفيفة

التي نهبوا حقوقها، وجعلوها فقيرة مضطرة للتسول في الجولات، وأرصفة الشوارع، وأبواب المساجد، علها أن تجد ما يشبع جوع صغارها.

أليس اكتفاؤها في بيتها من أهم حقوقها، فإن خرجت مضطرة للعمل خارج بيتها فتخرج متسترة محتشمة ملتزمة بآداب الإسلام، لكنهم لا يريدون ذلك، فتجدهم يتكلمون عن حجابها، ويلمزون في حشمتها، ويعتبرون ذلك نوع من القيود التي فرضت على المرأة، لأن حقوقها وحريتها -في نظرهم- هو خروجها متبرجة سافرة، لتكون متوافقة مع أهوائهم وشهواتهم وفطرهم المنكوسة.

ولا أدل على ذلك من اشتراط بعض الشركات والهيئات على المرأة المتقدمة لطلب الوظيفة شروطاً مخلة بآداب المرأة، كنزع الحجاب، أو إظهار شعر الرأس، أو لبس ملابس معينة فاتنة للرجال.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أننا مسلمون، نعيش في مجتمع مسلم، مرجعيته الإسلام عقيدة وشريعة، فأرادوا أن يفرضوا علينا المخططات الغربية تحت شعار ما يسمى بالاتفاقيات والقوانين الدولية، وذلك عن طريق المنظمات المشبوهة التي انكشف زيفها، وعرف الغرض من إنشائها.

هذه بعض فضائحهم التي نضحت بها آنيتهم، فأظهرت خبث سرائرهم، ولؤم أخلاقهم، وكل إناء بما فيه ينضح[1]، ولا يستطيع هؤلاء إنكار تقاريرهم وتصريحاتهم التي تبين واقع مجتمعاتهم المليئة بالمشكلات والمعضلات، ولا كتم الأصوات التي تصرخ من أفواه عقلائهم لتنادي بالعودة إلى الفطرة السوية، وترك العبث الذي دمر هذه المجتمعات، وأثَّر سلباً على حياتها الاجتماعية، والاخلاقية، والاقتصادية، والتنموية.

فإن أَبَوا إلا المكابرة والعناد، وإنكار الحقيقة؛ فقد صدق فيهم قول الشاعر:

---

(١) مثل يقال لكل ما يكون في خاطر الإنسان ثم يظهر من الكلام الذي يخرج من فيه، أو كلّ شيء يأتي مشابهًا لأصله. [انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة- د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ١/١٣٤].

لا تعْجَبَنْ لِحَسُــودٍ راحَ يُنكِرُهـــــــا *** تَجاهُلاً وهْوَ عَينُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قد تنكرُ العينُ ضوء الشمسِ من رمدٍ *** ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماء منْ سَقَم[1].

(١) تنسب هذه الأبيات للبوصيري، [انظر: البلاغةُ الواضِحَةُ- علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود، صـ١٢٨، السحر الحلال في الحكم والأمثال- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، دار الكتب العلمية- بيروت، صـ١٠٠].

الخاتمة:

بعد أن تم بحمد الله تعالى وتوفيقه إعداد هذا البحث، فإنه يمكن أن نستخلص منه أنَّ الحقائق العلمية الثابتة لها دور كبير في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم بزيادة البيان، وتوسيع المعنى، وإيضاح المفهوم من آيات القرآن الكريم، ولكن بالضوابط والشروط التي ذكرها العلماء، وما جاء في القرآن الكريم من حقائق علمية، وأوصاف لبعض الظواهر الكونية، هي أدقُّ، وأشملُ، وأعمُّ، مما ذكرته العلوم التجريبية، من حيث اللفظ، والمعنى، والمدلول؛ كون القرآن حمّال أوجه، وكما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**» قال أبو عبد الله: وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك(١).

فالقرآن خطاب للبشرية في كل عصر، والكل يفهم منه بقدر ما يفتح الله عليه، وبحسب ما يبذله من جهد وما هو متوفر لديه من وسائل، ولن يحيط بفهم الوحي أهل عصر إلى قيام الساعة، فلا مجال للتنقص والتجهيل، وإنما هي الاستفادة والتكميل(٢)، والدعاء لمن تقدم، بل الواجب اتباع فهم السلف ﷺ، وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، فمن عدل عن تفسيرهم إلى ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيل، باب المفاتيح في اليد، ٣٧/٩، برقم: ٧٠١٣.

(٢) يرى الدكتور يوسف القرضاوي أنه لا ينبغي قبول التفسير العلمي إلا ما كان منه معنى جديداً يضاف إلى ما قاله السلف حيث يقول: «ولذا ينبغي أن نقبل من هذا اللون من التفسير: ما كان إضافة لقديم، وليس إلغاء كلياً له، فلا مانع من إضافة فهم جديد للآية، أو جزء الآية، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد كنوزه وأسراره، والله تعالى يفتح على عباده في فهمه ما يشاء لمن يشاء»[كيف نتعامل مع القرآن العظيم- يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط٣: ٢٠٠٠م، صـ٣٨٣]، ويرى الدكتور صالح صواب أن الاكتشافات العلمية قد تضيف لنا قولاً جديداً هو الراجح في تفسير الآية وما ذكره المفسرون يعتبر قولاً مرجوحاً، وذلك بأن يكشف العلم الحديث عن معنى من معاني الآية لم يذكره العلماء السابقون، وهو أولى بالقول من غيره مما ذكره المفسرون، لحمل اللفظ عليه بلا تكلف، ولاحتمال القول به بعد أن لم يكن متوقعاً ولا معروفاً في زمن المفسرين القدامى. [انظر: أثر الاكتشافات العلمية في التفسير- صالح صواب، بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس ١٤٢٩هـ الموافق يونيو ٢٠٠٨م].

يخالفه كان مخطئاً بل ومبتدعاً لأنهم كانوا أعلم بتفسير كتاب الله من غيرهم وأورع وأتقى[(١)]، وما كشفته العلوم التجريبية الحديثة من حقائق متعلقة ببعض الآيات فهي معانٍ جديدة تُضاف إلى ما فهمه السابقون كوجه من وجوه التفسير[(٢)].

ومن خلال هذا البحث فإنه يمكن الخروج بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

١- التفسير العلمي القائم على الحقائق العلمية، والمنضبط بقواعد وشروط التفسير، يَندُر أن يأتي بقول جديدٍ لم يُسبَق إليه في التفسير؛ وإلا ففي الغالب فإن هذه التفسيرات المعاصرة تدخل ضمن الآراء السابقة للمفسرين، أو تجد لها ما يؤيدها من أقوال السلف.

٢- التفسير العلمي للقرآن الكريم يأتي بمعانٍ جديدة للآية القرآنية لا تتعارض مع آراء السلف، وأحياناً تكون موضحة ومبينة لها.

٣- أظهرت الحقائق العلمية معانٍ جديدة موضحة لوصف الرحم بالقرار المكين بالنسبة للجنين، وأظهرت هذه الحقائق تفصيلاً علمياً لدقة هذا الوصف، وسعة مدلوله.

٤- أيدت الحقيقة العلمية قول جمهور المفسرين في تيسير السبيل بأنه تيسير خروجه من الرحم، دون أن يتعارض هذا مع القول الآخر الذي يفسر ذلك بتيسير طريق الهدى والضلال، بل إن التيسير يظهر في صور كثيرة منها المشاهد والمعروف، ومنها ما كشفتها الحقائق العلمية.

٥- أسهمت الحقائق العلمية في فهم وتدبر كلام الله تعالى من خلال الكشف عن أسرار الجنين وما يحدث داخل الرحم، في الآيات المتضمنة لذلك؛ لتكون وسيلة مهمة في زيادة الإيمان واليقين في القلب.

٦- إنَّ مشاهدة الظاهرة الكونية وظهورها للعيان من خلال اكتشافات العلوم التجريبية لها

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه- د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، إصدارات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط٢: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص٣٤- ٣٥.

(٢) انظر: أثر الحقائق العلمية في ترجيح أقوال المفسرين من خلال الثلث الأخير للقرآن الكريم (دراسة تحليلية مقارنة)- رياض عيدروس عبد الله عمر، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، غير منشورة- جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان- الخرطوم، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ص٥١٢.

أثر في النفس أشد مما لو كانت خفية، حيث نقلها الكشف العلمي من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة أعلى هي: عين اليقين، وهو ما يشد ذهن القارئ لكتاب الله تعالى إلى التدبر والتأمل بصورة عميقة ومؤثرة في نفسه ووجدانه.

ثانياً: التوصيات:

١- يوصي الباحث بتشكيل لجان، أو هيئات، أو مؤسسات، تهتم بالتأصيل الشرعي لهذا اللون من التفسير، وتبين القواعد والضوابط، وكيفية التعامل معها، وتحذر من الأبحاث التي تقع في الشطط والتكلف، والتي تحاول إقحام كلام الله تعالى في كل كشف جديد.

٢- يوصي الباحث بجمع أقوال المفسرين من السلف وخاصة المأثور منها، ومحاولة تخريجها تخريجاً تفسيرياً، وبيان صحتها من عدمه، ثم محاولة التوفيق بينها وبين الحقائق العلمية المستجدة.

٣- يوصي الباحث بإقامة مجامع علمية مشكلة من علماء التفسير وعلماء العلوم الكونية، لبيان الحقائق العلمية الثابتة من قِبَل أهل الاختصاص، ومقابلتها مع التفاسير العلمية المعاصرة؛ للخروج برؤية واضحة في قضية الربط بين هذه الحقائق وأبحاث التفسير العلمي.

٤- يوصي الباحث الهيئات والمؤسسات البحثية بالاهتمام بالأبحاث العلمية التي تجمع بين تفسير السلف وبين التفسيرات المعاصرة المستندة على الحقائق العلمية، لإثرائها، وتنقيحها، والاستفادة منها في تدبر كلام الله تعالى.

٥- يوصي الباحث الهيئات والمؤسسات الإعلامية المهتمة بإعداد البرامج العلمية المتعلقة بالتدبر والتأمل في إبداع صنع الله، بالعمل على تحويل هذه الأبحاث إلى مشاهد وصور حية متمثلة بأفلام علمية ووثائقية؛ وبرامج إعلامية متنوعة؛ لما لها من تأثير بالغ في فهم وتدبر آيات القرآن الكريم.

وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت فيما جمعت من مادة علمية، خدمة لكتاب الله تعالى، ولا أدَّعي أنه قد بلغ التمام، أو خلا من القصور؛ ولكن حسبي من ذلك أني قد بذلت ما بوسعي من جهد وطاقة للوصول إلى تحقيق الهدف، في ظل ظروفٍ صعبةٍ

تعيشها بلادنا اليمن، من انقطاع دائم للكهرباء، وغياب كثير من الخدمات، فضلاً عن الحرب التي لم تضع أوزارها حتى اللحظة، فما كان من صواب وتوفيق في هذا الجهد فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو زللٍ، أو نقص، أو نسيان، فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله من ذلك، والله ورسوله من ذلك براء.. والله تعالى أعلم وأحكم.

وصلى الله وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

***

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم

١	أثر الاكتشافات العلمية في التفسير- د. صالح صواب، بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس ١٤٢٩هـ الموافق يونيو ٢٠٠٨م.
٢	أثر الحقائق العلمية في ترجيح أقوال المفسرين من خلال الثلث الأخير للقرآن الكريم (دراسة تحليلية مقارنة)- رياض عيدروس عبد الله عمر، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، غير منشورة- جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان- الخرطوم، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
٣	الإحكام في أصول الأحكام- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو مُحَمَّد، دار الحديث، القاهرة، ط١: ١٤٠٤هـ، ١٥٨/٢، التقرير والتحرير في علم الأصول- ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت: ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٤	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العماد، دار إحياء التراث العربي، بيروت— لبنان.
٥	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت- لبنان: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٦	الإعجاز الطبي في القرآن- الدكتور السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، الطبعة الأخيرة: ٢٠٠٠م.
٧	الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه- د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح، إصدارات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط٢: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٨	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين- خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلِي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٩	الإمام الشوكاني حياته وفكره- عبد الغني قاسم غالب الشرجي، صـ١٥٠، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط١: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٠	الإنسان ووجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم- عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
١١	أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ناصر الدين البيضاوي عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، دار الفكر، بيروت.
١٢	بحر العلوم- أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

١٣	البحر المحيط- مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي مُحَمَّد معوض، بمشاركة آخرين، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
١٤	البحر المديد- أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
١٥	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع- مُحَمَّد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
١٦	البلاغةُ الواضِحَةُ- علي الجارم و مصطفى أمين، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود.
١٧	البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة- مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مُحَمَّد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١: ١٤٠٧هـ.
١٨	تاج العروس من جواهر القاموس- حمد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٩	تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)- إحسان عباس، صـ٣١٥، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٦٠م.
٢٠	التحرير والتنوير- الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون، تونس: ١٩٩٧م.
٢١	تذكرة الحفاظ- مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٢	تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم- د. زغلول راغب مُحَمَّد النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢٣	تفسير السراج المنير- مُحَمَّد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤	تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي)- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٢٥	تفسير القرآن- أبو المظفر منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم- غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٦	تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة، ط٢: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٧	تفسير المراغي- أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
٢٨	التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مُحَمَّد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١: ١٩٩٧م.
٢٩	تفسير روح البيان- إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي.
٣٠	تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط١: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٣١	التقرير والتحرير في علم الأصول- ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت: ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٣٢	تهذيب الكمال في أسماء الرجال - يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٠٠هـ— ١٩٨٠م
٣٣	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٣٤	جامع البيان في تأويل القرآن- مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٥	جريدة الاتحاد الإماراتية، الثلاثاء ١٣/ جمادي الآخرة، ١٤٣٤هـ - ٢٣ أبريل، ٢٠١٣م.
٣٦	جريدة الدستور - تصدر عن الشركة الاردنية للصحافة والنشر، العدد رقم: (١٦٤٤٥)، السنة السابعة والاربعون- الثلاثاء ١٣/ جمادي الآخرة، ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٣/ نيسان، ٢٠١٣م.
٣٧	حقيقة المؤتمر الإقليمي حول إلزامية التعليم ودمج النوع الاجتماعي (الجندر) في المناهج، المنعقد في صنعاء ٤-٦ مارس ٢٠١٣م، وموقف العلماء منه، ضمن سلسلة إصدارات منظمة مسلمة، الإصدار(٤).
٣٨	خلق الإنسان بين الطب والقرآن- الدكتور مُحَمَّد علي البار، الدار السعودية، ط٥: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٩	خلق الإنسان بين العلم والقرآن- د. حمد الرقعي، الدار الجماهيرية، سرت- ليبيا، ط١.

٤٠	رحلة الإيمان في جسم الإنسان- حامد أحمد حامد مُحَمَّد، دار القلم، دمشق- دار البشير، جدة، ط٣: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٤١	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٢	زاد المسير في علم التفسير- عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١٤٠٤هـ.
٤٣	السحر الحلال في الحكم والأمثال- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، دار الكتب العلمية- بيروت.
٤٤	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير- مُحَمَّد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥	سنن ابن ماجه- مُحَمَّد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت.
٤٦	سنن الترمذي- مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢: ١٩٧٥م.
٤٧	سير أعلام النبلاء- شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩: ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٤٨	صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري- مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
٤٩	صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه- أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٠	صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم- مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي— بيروت.
٥١	طبقات الشافعية - أبو بكر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٧هـ.
٥٢	طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي، وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر، ط٢: ١٤١٣هـ.

٥٣	الطبقات الكبرى- أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٥٤	طبقات المفسرين- أحمد بن مُحَمَّد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١: ١٩٩٧م.
٥٥	العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ- مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط٢: ١٤٢٦هـ.
٥٦	علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة- الشيخ/ عبد المجيد الزنداني- البروفيسور/ كيث. ل. مور، وآخرون من أبحاث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إسلام آباد- باكستان، في الفترة من ٢٥-١٤٠٨/٢/٢٨هـ، الموافق ١٨-١٩٨٧/١٠/٢١م، ط: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة.
٥٧	علم الإيمان- عبد المجيد الزنداني- بمساعدة مجموعة الإيمان، مركز البحوث بجامعة الإيمان، ط١: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، (٤أجزاء).
٥٨	العِلمانيَّة- نشأتَهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المعَاصِرَة (أصل الكتاب: رسالة دكتوراه)- د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة.
٥٩	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
٦٠	فيلم: معجزة خلق الإنسان- هارون يحي، موقع الكاتب التركي هارون يحي.
٦١	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٢	كيف نتعامل مع القرآن العظيم- يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط٣: ٢٠٠٠م.
٦٣	لباب التأويل في معاني التنزيل- علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح مُحَمَّد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٥هـ.
٦٤	اللباب في علوم الكتاب- أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦٥	لسان العرب- مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ.
٦٦	مجلة المنار، المجلد ١٨.
٦٧	مجلة مجمع الفقه الإسلامي، المجلد ١٠.
٦٨	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٦٩	المحصول في علم الأصول- فخر الدين مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١: ١٤٠٠هـ.
٧٠	مختار الصحاح مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر.
٧١	مدارك التنزيل وحقائق التأويل- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان مُحَمَّد الشعار، دار النفائس، بيروت: ٢٠٠٥م.
٧٢	المستطرف في كل فن مستظرف- شهاب الدين مُحَمَّد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، ٢/ ١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٦م، تحقيق: د. مفيد مُحَمَّد قميحة.
٧٣	مشاهير علماء الأمصار- مُحَمَّد بن حبان بن أحمد التميمي البستي تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، ط١: ١٤١١ هـ- ١٩٩١م.
٧٤	معالم التنزيل- أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط٤: ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٧٥	معجم اللغة العربية المعاصرة- د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٧٦	المعجم المختص بالمحدثين- مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق: ١٤٠٨هـ.
٧٧	معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ- مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٧٨	مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)- فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٧٩	المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
٨٠	المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد- برهان الدين إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٨١	من أسرار القرآن والكون والإنسان أسرار خلق الإنسان العجائب في الصلب والترائب- داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي، بيروت— لبنان، ط١: ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
٨٢	المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، تحقيق: دكتور مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٣	موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، للأستاذ الدكتور مُحَمَّد راتب النابلسي، دار المكتبي، سورية —دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٨٤	موسوعة حقائق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواجهة الشبهات، من إصدارات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة- رابطة العالم الإسلامي (٣ أجزاء).
٨٥	موسوعة عجائب جسم الإنسان في العلم والقرآن- مُحَمَّد كمال عبد العزيز، صـ١٧٤، مكتبة القرآن، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٨٦	موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
٨٧	موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي.
٨٨	موقع رابطة العلماء السوريين: http://www.islamsyria.com/index.php.
٨٩	موقع شبكة الألوكة.
٩٠	موقع شبكة روض الرياحين. http://cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=23779
٩١	موقع منتديات صرخة لأقصى على الرابط: http://samera-1968.yoo7.com/t2946-topic [ ].
٩٢	موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: http://ar.wikipedia.org/wiki
٩٣	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩٤	النكت والعيون- أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٩٥	نهاية السول شرح منهاج الوصول للبيضاوي- جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٩٦	الوافي بالوفيات- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٩٧	الوفيات- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بـ: ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، بيروت: ١٩٧٨م.
٩٨	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٣
أهمية البحث.....	٤
هيكل البحث.....	٥
المبحث الأول: القرار المكين.....	**٦**
المطلب الأول: القرار المكين في فهم أهل اللغة وأهل التفسير	٨
معنى (قَرارُ) في اللغة.....	٨
معنى (مكين) في اللغة.....	٩
(القرار المكين) عند المفسرين.....	٩
كلام الشيخ المراغي.....	١٢
المطلب الثاني: القرار المكين في ضوء الاكتشافات لعلمية.....	١٤
الوسط الهندسي للحوض.....	١٤
تولد الضغط المتوازن.....	١٥
الاستجابة للنمو بحسب مراحل الجنين.....	١٦
تعاون الأربطة.....	١٧
حركة مفاصل الحوض.....	١٨
عضلات الحوض والعجان.....	١٩
السائل الأمنيوسي.....	١٩
الحواجز الثلاثة.....	٢٢
المقدرة الهائلة التي وهبها الله تعالى للمشيمة.....	٢٥
هرمون الحمل (البروجسترون).....	٢٩
اختلاف حوض المرأة عن حوض الرجل.....	٣٠
السكن المناسب.....	٣٣
الانغراس والتغذية والإيواء.....	٣٣
المبحث الثاني: تيسير السبيل.....	**٣٨**
المطلب الأول: تيسير السبيل في لغة العرب وفهم المفسرين.....	٤٠

السَّبِيلُ في اللغة..... ٤٠
المقصود بالسبيل عند المفسرين..... ٤٠
المطلب الثاني: تيسير سبيل الولادة في ضوء المعطيات العلمية..... ٤٦
آلية (هندسة) المخاض..... ٥٠
تصميم جمجمة الجنين..... ٥٠
اليافوخ..... ٥١
مراحل الولادة..... ٥٣
الصرخة الأولى.. وعمل الرئتين..... ٦١
المطلب الثالث: التضحية عند الأم الحامل نوع من تيسير السبيل..... ٦٢
الجهاز الهضمي..... ٦٢
القلب والجهاز الدوري..... ٦٢
الجهاز التنفسي..... ٦٣
العظام والأسنان..... ٦٣
الغدد الصماء..... ٦٤
زيادة الوزن..... ٦٤
الحالة النفسية..... ٦٥
آلام الطلق..... ٦٥
المطلب الرابع: تيسير السبيل بعد الولادة. (تدابير للحياة خارج الرحم)..... ٦٧
المناعة..... ٦٧
طاقة التدفئة..... ٦٧
أول غذاء.. وأفضل غذاء..... ٦٧
حنان الأبوين..... ٦٨
ويستمر التيسير..... ٦٩
المبحث الثالث: وَقَفَاتٌ.. وَتَأمُلَات في ظلال الآيات..... ٧١
الوقفة الأولى: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!..... ٧٣
الوقفة الثانية: وصف الإمام ابن القيم للجنين..... ٧٥
تعليق الأطباء على كلام ابن القيم..... ٧٥
الوقفة الثالثة: الرطب وتسهيل الولادة..... ٨١
فوائد الرطب للمخاض في ضوء المعطيات العلمية..... ٨٣

الوقفة الرابعة: كيف تكفر أيها الإنسان؟!..... ٨٦
الوقفة الخامسة: الجندر .. ودعوى الرجُل الحامل..... ٨٩
الخاتمة..... ٩٨
النتائج..... ٩٩
التوصيات..... ١٠٠
قائمة المصادر والمراجع..... ١٠٢
فهرس المحتويات..... ١١٠